٣٢

الجباب

سلسلة









أنثى تحيط
برجل



أنصبة فى الصليب

جزء أول

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

العدد الثانى والثلاثون

يوليو ٢٠٢٢

أنصبة فى الصليب

جزء أول

إسحق إسكندر

السلسلة: ملء الجباب

الكتاب: أنصبة فى الصليب
جزء أول

الكاتب: إسحق إسكندر

للتواصل: كنيسة الإخوة بالجيزة
٧ ش الدرى
ميدان الجيزة

تليفون: ٠١٢٨١٨٨٧٥٨٨

كمبيوتر: Pateer Center

تصميم الغلاف: م. مرزق وجيه

مطبعة: أوتو برنت

إيداع رقم: ١١٧٠٦ / ٢٠٢٢م بدار الكتب

ترقيم دولى: 978-977-94-2091-2

فهرس

سلسلة ملء الجباب

صدر منها

١- ملء الجباب (طبعة ثانية)
٢- تكفيك نعمتي (نفذ)
لماذا أنا بالذات؟ (نفذ)
٣- كرسى المسيح (نفذ)
٤- حبيب الرب (طبعة ثانية)
٥- أرى الدم
ثلاثة أبكار
أربع معارك
٦- على الشجوية
ظل الموت
٧- روشتة للألم
٨- كاهن عظيم
٩- السجين الحالم
١٠- ميمى بك
١١- مجاهد فى الجبانة
١٢- رئيس الخلاص
١٣- وأنت تبقى (طبعة ثانية)
١٤- لنا شفيع (طبعة ثانية)
١٥- محطة الأتوبيس
حجرة الفئران
١٦- رائد وسلطان
١٧- لا تهتموا بشئ (طبعة ثانية)
١٨- الاختيار الأزلى
١٩- حقوق المسيح جـ ١
٢٠- حقوق المسيح جـ ٢
٢١- حقوق المسيح جـ ٣
٢٢- حتى الموت
٢٣- الورقة الأخيرة
٢٤- سر الله
٢٥- حتميات لاهوتية جـ ١
٢٦- الشاويش بركات
٢٧- حتميات لاهوتية جـ ٢
٢٨- الست عواطف
٢٩- حتميات لاهوتية جـ ٣
٣٠- حتميات لاهوتية جـ ٤
٣١- متحف النعمة
أمسكت بيدى اليمنى
لماذا أنا بالذات؟ (طبعة ثانية)
تكفيك نعمتي (طبعة ثانية)

✤ Upon Shiggaion
✤ The Shadow of Death
✤ The Brass Serpent (نفذ)

مقدمة

أبدأ باعتذار أقدمه عن نفسي وعن كثيرين أمثالي، ممن ظنوا فى يوم من الأيـــام مثلما ظننتُ - أو مازالوا يظنون - أن الغرض الوحيد من تجســد ابن الله وصلبه هو فقط من أجل خلاص الإنسان، مســتندين فى ذلك إلي التفسير **الضيق** لقول الرســول: "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُول: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ **جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ....**" (اتى ١:١٥).. على اعتبار أن هذا هو الســبب الوحيد لمجى المسيح إلى العالم.

لكن ما كان هذا هو السبب الوحيد، ولا حتى كان السبب الأول.

ولنر هذا فى تسـبحة الملائكة يـوم ميـــلاد القدوس ودخوله إلى العالم، لنكتشف ترتيب أسباب مجيئه بحسب أولوياتها.. فنسمع منهم:

أولاً: المجد لله فى الأعالي،

ثانياً: علي الأرض السلام،

ثالثاً: بالناس المسرة (لو ٢:١٤).

فالله ومجده، أولاً.

وابن الإنسان؛ رئيس السلام وموسسه على الأرض، ثانياً.

والناس ومسرة الله بهم، ثالثاً.

كان النبى فى العهد القديم، هو **ممثل الله** على الأرض، **وذلك فى أحد جوانب خدمته**، أى **المدعى بالحق الإلهى** (وهى عبارة يفهمها القانونيون).. بمعني أنه المطالب بحقوق الله من الناس فى الأرض.. وبذلك يختلف الأنبياء فى العهد القديم عن رسل المسيح وخدامه فى العهد الجديد.

فالأولون **يطالِبون**.. والآخرون **يُعطُون.**

فالنبي فى العهد القديم - لأنه يمثل الله - إن طلب من الناس شيئاً، ظننَّا أنه يطلبه لنفسه، بينما هو فى الحقيقة يطلبه لله الذى يمثله هذا النبى.

لهذا يقول نبى الله إيليا للأرملة **المعدومة** إلا من ملء كف من **الدقيق** فى الكوار وقليل من الزيت فى الكوز (1مل ١٧: ١٢).. بالكاد يكفيان لعمل كعكة لها ولابنها يأكلانها ثم يموتان: "اعْمَلِي لِي مِنْهَا كَعْكَةً صَغِيرَةً **أَوَّلاً** وَاخْرُجِي بِهَا إِلَيَّ، ثُمَّ اعْمَلِي لَكِ وَلابْنِكِ **أَخِيرًا**" (1مل١٧: ١٣).. **أنا أولاً.. وانت وابنك أخيراً!**

وكطفل فى مدارس الأحد، كنت أرى إيليا - **بعد أن سمعت القصة** - أنانياً فى هذا الموقف.. لكن فيما بعد وجدته كما لو كان يرد عليَّ: "لى النصيب الأول **بصفتى** نائباً عن الله، وممثلاً له على الأرض، ومطالباً بحقوقه، **فكعكتى** أولاً.. لماذا؟.. "لأنها نصيب الله الذى أمثله".

عجيب!!.. أينظر الله إلى حفنة من الدقيق، ودهنة من الزيت لدى أرملة مسكينة حتى ينال شيئاً منها.. وهو "اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" (تك١٤: ١٩).. نعم.. لماذا؟.. ليس طمعاً فى شئ، فهذا شئ لا يستحق الذكر، إلا أنه **حق الله أولاً فى كل شئ**.. والله لا يتنازل عن حقوقه لآخر.. أيا كانت قيمتها أو كميتها.. فـ"مَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ" (إش٤٢: ٨).. ولو كان هذا المجد هو الأولوية.

لكن بعد أن أخذ الله حقه، هل حدثت خسارة؟.. أم هل ماتت الأرملة حسب توقعها؟.. حاشا.. إننا نقرأ أنها لم تمت.. بل **عاشت** "وَأَكَلَتْ هِيَ وَهُوَ (إيليا) وَبَيْتُهَا أَيَّامًا. كُوَّارُ الدَّقِيقِ لَمْ يَفْرُغْ، وَكُوزُ الزَّيْتِ لَمْ يَنْقُصْ، حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ إِيلِيَّا" (١مل١٧:١٥،١٦).. لأنه إن أخذ الله حقه **أولاً**، لن نضيع نحن، بل بالعكس **نتبارك** (ملا٣:١٠).

فإن كان لله النصيب فى هذه المواد المتواضعة، كحفنة الدقيق ودهنة الزيت، بل **النصيب الأول**، فبالأولى كثيراً، ومن المنطقى والطبيعى، بل واللاهوتى، أن يكون **لله النصيب الأول فى صليب المسيح**.. أو بالحرى نصيبان، لا نصيب واحد.

وفى هذا العدد سوف نرى خمسة أنصبة فى الصليب:

أولاً : نصيب أزلى لله.

ثانياً : نصيب فى الزمان لله.

ثالثاً : نصيب أول للمؤمنين (رفع المعاناة....).

رابعاً : نصيب ثانى للمؤمنين (رفع المذنوبية الفعلية).

خامساً : نصيب ثالث للمؤمنين (رفع المذنوبية التضامنية).

وفى العدد القادم بمشيئة الرب سنرى أنصبة ثلاثة أخرى.. وهى:

سادساً : نصيب رابع للمؤمنين (فداء تعديات العهد الأول....).

سابعاً : نصيب لعامة البشر.

ثامناً : نصيب للخليقة غير العاقلة.

أولاً

نصيب الله الأزلى

المنع الأزلى لقيام إشكالية لاهوتية

مادام هذا المنع أزلياً، فهو نصيب لله وحده، لأنه لا أحد غيره أو معه فى الأزل.. ومادامت هذه الإشكاليـــة لاهوتيـــة فهى تخص لاهوت الله.. وبالتالى فمنع قيامها يؤكد أنه نصيب الله – فى لاهوته – وحده.

وهى إشكاليـــة خطيرة، لو قامت فى الأزل، ماكان الله – جل شأنه – هو الله "مطلق الكمال".. أو لانعدم وجوده من الأساس.

ما هى هذه الإشكالية؟.

هى ما تعرضنا لها فى العدد الســابق: (بعنوان حتميــات لاهوتيـــة جزء رابع).. وهى إشكالية التوفيق بين عدالة الله وبين رحمته[1].

فــالله، إن عامل الناس **بالعدالة** – وهم يستحقون ذلك – فقد أسقط عن ذاته صفة الرحمة.. وإن عاملهم **بالرحمة** – وهم لا يســتحقون ذلك – فقد أســـقط ذاته صفة العدالة.

وبالتالى لا يــمكن لله أن يــجمع فى ذاته هاتيــن الصفتيــن المتعارضتين.. وبالتالى عليه إما أن:

١. يتخلى عن **إحدى** هاتين الصفتين لحساب الأخرى.

٢. أو أن يتخلى عن **الاثنتين**.. وفى هاتين الحالتين **ما كان هو الله "مطلق الكمال"**.. المتصف **بجميع** صفات الكمال.

٣. أو أن يـــتخلى عن **جميع صفاته** – من باب الاحتياط – وذلك حتى لا تتعارض صفة مع الأخرى.. وفى هذه الـــحالـــة **ما كان له وجود من الأساس.**

فإن قلنا أن حل هذه الإشكالية كان فى صليب المسيح، كان قولنا **صحيحاً**، لكنه غير **دقيق.**

كيف؟

أولاً : هو قول **صحيـــح** من ناحية أن المسيح احتمل العقوبة العادلة لخطية الانسان، بأن مات **حرفيـــاً**، "مُمَاتًا فِي الْـجَسَـدِ" (١بط٣:١٨).. ومات موتاً **كفاريـــاً** (إش٥٣:٥،٦)، محتملاً العقوبة الأبدية للخطية.

وإذ مـــات واحتمل العقوبة المزدوجة بموته حرفياً وكفارياً، فقد أخذت العدالة الإلهيـــة مجراها فى الصليب، ليتبقى لله الفرصة عندئذ لتطبيق رحمته على الإنســـان.. وبالـــتالى تكون قد تحققت النبوة: "**الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَـا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا**" (مز٨٥:١٠).

ثانياً : مع أن هذا قد حدث فعلاً فى الصليب، لكن التوقف عنده فقط، واعتبار أن الحل قد حدث وقت الصليب، هو قول **غير دقيق**.. لأن معناه إما:

١. أن هذه الإشكاليـــة ظلت قائمة منذ الأزل، وظل الله يعانى من وجودها، وظلـــت صفتا الرحمة والحق متعارضتيـــن منذ الأزل، حتى كان الحل والتوفيق بينهما ساعة الصليب.

٢. أو أنهما(الرحمة والحق) كانتا نائمتين واستيقظتا عندما فوجئ الله بهذه الاشكالية بعد السقوط.. وتحير فى الأمر.. وببحثه عن حل للتوفيق بينهما، تفتق ذهنه عن هذا الحل، فأرسل ابنه ليموت على الصليب حسماً وإنهاءً لهذه الإشكالية.

والحقيقة غير ذلك، وهى:

١. أن هذه الاشكالية لم تكن قائمة أزلاً.

٢. وبالتالى لم تكن لله لا مفاجاة، ولا حيرة أو بحث عن حل.

ما الأمر إذاً؟

هذه الإشكالية لم تقم فى الزمان، ولا كانت قائمة فى الأصل أزلاً، بل كان التوفيق بين هاتين الصفتين، صفة العدالة، وصفة الرحمة، هو **توفيق أزلى** منع قيام هذه الإشكالية من الأساس فى الأزل.

فلم تكن لدى الله مفاجأة.. ولا كان موت الصليب أمراً مستحدثاً، استجد نظراً لظرف طارئ، لم يكن فى الحسبان؛ هو سقوط الإنسان وخطيته، بل كان موت الصليب موتاً أزلياً قبل أن يكون موتاً فى الزمان.

كيف؟

المسيح - إن جاز التعبير - مات شرعاً فى الأزل، إذ أنه "**بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ**" (عب٩:١٤).. فصار فى حكم الموت شرعاً، دون أن يموت فعلاً.. لأنه إن كان المسيح قد مات فعلاً فى الزمان، وسفك دمه الكريم، إلا أنه كان فى الأزل قد قدم نفسه لله (الشاهد السابق).. مما يفيد أن موته الفعلى فى الزمان، وسفك دمه، كان له خلفية شرعية فى الأزل قبل الزمان.

نحن الآن أمام موتين المسيح، موت حكمى فى الأزل.. وموت فعلى فى الزمان.

ولـتوضيح ذلك نأتى الآن إلى رمزين يوضحان الفرق بين الموت الحكمى (أو الشرعى) وبيـــن الموت الفعلى.. رمز من الواقع فى **أرياف** مصر.. ورمز من الكتاب.. والمثلان مذكوران فى العدد الثلاثين من هذه الســـلسلة.. بعنوان حتميات لاهـوتية (جزء رابع).. وأنقل هنا هذين المثالين.. ثم نقف بعد ذلك على نص كتابى صريح للموت الحكمى.

المثال الأول

فى أريـــاف مصر، يــطالب أهل القتيــل بدم القاتل أخذاً بالثأر.. فيـــلجأ الـمسئولون وحكماء القرية – حقناً للدماء – إلى عقد جلسة صلح عرفية.. يحضرها الطرفان، وتضم كبار رجال الدولة وعواقل العائلات ورجال الديـــن.. ويأتى القاتل حـاملاً كفنه، ساجداً، راكعاً، عند قدمى ولى الدم (وهو أحد أقرباء القتيل).. وكما لو كان يــقول لــه: "أنا مخطئ.. فإن قتلـــتنى كان هذا حقك العادل، والعدل من همم الرجال.. وإن سامحتنى كان هذا عفوك الراحم، والعفو من شيم الكرام.. وهذا كفنى لأعــود به إلى القبر إن شئت.. أو إلى الحياة مرة أخرى إن عفوت.. بعدما وضعت نفسى كميت أمامك الآن".

فـيعفو ولى الدم عنه، مغلِّبا الرحمة على العدالة.. إذ أن القاتل وضع نفسه تحت الموت **شرعاً**.. فكأنه قد مات فعلاً بتطبيــق العدالة عليـــه.. فلا الرحمة هنا أسقطت.. ولا العدالة انتهكت.

المثال الثانى

إن كــان هذا المثال الأول هو تصرف يلجأ إليه سكان الأرياف فى مصر، فإن **الكتاب** قد ســبق وقدم لنا صورة رمزيـــة لهذيـــن الموتين للمســيح.. الموت الحكمى.. والموت الفعلى.

ففى سفر التكوين (ص ٢٢) نرى رمزين لتقديم المسيح نفسه قرباناً ومحرقة ذبيحة لله.

الأول : رمز نرى فيه المسيح يموت حكماً وشرعاً.

الثانى: رمز نرى فيه المسيح يموت فعلاً وحرفاً.

ما هما؟.. إنهما إسحق؛ الرمز الأول.. والكبش؛ الرمز الثانى.

وبخلاف نواح رمزية أخرى فى هذين الرمزين، فإننا نرى فيهما هذين الجانبين للموت؛ الموت الحكمى الشرعى، والموت الفعلى الحرفى.

الأول: إسحق حاملاً الحطب، وسائراً إلى المذبح، ومقيداً، ومسجى على المذبح، والسكين مرفوعة عليه.. هذا نرى فيه إسحق **فى حكم الموت شرعاً، دون أن يموت فعلاً**.

وهو هنا يرمز للرب يسوع المسيح الذى قدم نفسه لله بروح أزلى، ليكون تحت طائلة سيف العدالة الإلهية.. إلا أن السيف حتى هذه اللحظة ظل نائماً ومتوقفاً مفعوله.. لأن الموت هنا هو موت **حكمى أو شرعى**.

الثانى: نري فيه الرمز الذى يكمل الرمز الأول.. وذلك تحقيقاً **عملياً** له.. ألا وهو **الكبش** الممسك فى الغابة بقرنية.. وهو كبش صحيح مربوط.. مهيأ للذبح.. وقد ذبح فعلاً.

وهو هنا يرمز للرب يسوع المسيح فى جسده المهيأ له من الله (عب١٠:٥) موضوعاً أقل من الملائكة (عب٢:٧،٩).. "لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ **(الفعلى)** لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ" (عب٢:٩).. أو لكى **يذبح** فعلاً بلغة رسالة كورنثوس: "لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ **ذُبِحَ** لأَجْلِنَا" (١كو٥:٧).. وقد استيقظ عليه هذا السيف الذى كان مرفوعاً، وإنما كان نائماً منذ الأزل (زك١٣:٧).

النصوص

أما النص الكتابى الصريح **الأول** الذى يثبت أن هناك ما يعرف بالموت الحكمى أو الشرعى، فهو ما كتبه الرسول بولس: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ..." (غل٢:٢٠).. فهل صلب بولس فعلاً، أم حكماً؟.. وهل صلبت أنا فعلاً، أم حكماً؟.. **إنه صَلْبٌ حُكمى.. لا فعلى.**

والنص **الثانى** هو ".... صَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ" (غل٦:١٤).. فهل صلب العالم لى حرفياً.. أم حكمياً لا فعلياً؟

والنص **الثالث** هو "عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ" (رو٦:٦).. فهل صلب إنساننا العتيق فعلاً.. أم حكماً؟.

نجد فى هذه النصوص الثلاثة، صلبًا حكميًّا شرعيًّا.. لا حرفى فعلى.

مما يؤكد أن الموت الحكمى إذاً هو موضوع كتابى.. وهكذا كما رأينا، فإن الرب يسوع قد مات هذين الموتين؛ الموت الحكمى أزلاً.. والموت الفعلى فى الزمان.

وبالتالى إذ قدم المسيح نفسه فى الأزل قرباناً وذبيحة لله بلا عيب، فقد **منع قيام هذه الإشكالية أساساً فى الأزل**.. فلم تقم.. ولا كان لها وجود، طالما **أخذت العدالة مجراها الشرعى فى الأزل**، فيمن قدم نفسه لله بروح أزلى ليموت حكمياً.. ثم لتأخذ الرحمة الأزلية بعد ذلك مجراها الفعلى واصلة للإنسان فى الزمان.

فيكون الله بذلك **عادلاً** أزلاً.. ورحيماً أزلاً.. **فى وقت واحد**.. دون تعارض بين هاتين الصفتين منذ الأزل.

وهذا هو النصيب الأول لله
فى صليب المسيح
وهو نصيب أزلى

ثانياً

نصيـــب الله فى الـزمان

شبع وسرور الله بموت المسيح

وهو ما تحقق فى الزمان بموت المسيح.. وإن كان له بالطبع خلفية أزلية – كما سبقت الإشارة.

وحتى نفهم هذا النصيـــب الثانى لله فى صليب المســيح، نرجع للرمز فى العهد القديم.

كانت هناك تقدمات عديـــدة وذبـــائح متنوعة.. لا مجال لـــلــخوض فى تفاصيلها.

بيـــن هذه التقدمات والذبائح، كانت هناك المحرقة.. ولنا فيها ما يشير إلى أولويـــة نصيـــــب الله فى الذبائح قديماً.. وما يرمز إليه هذا من نصيب أول لله فى الصليب فى **الزمان**.. وإن كان هو النصيب الثانى بعد **الأزلى**.

لذلك تذكر المحرقة **أول** التقدمات المقدمة إلى الله فى (لاويـــين ١).. ذلك لأنها تمثل **نصيـــب الله الأول** فى الزمان، فى صليـــب المســـيـــح، قبل أى نصيب لآخرين.

وكانت تقدَّم بتمامها لله.. "وَيـُقَرِّبُ الْكَاهِنُ الْجَمِيـــعَ (جميع قطع المحرقة شاملـــة الرأس والأحشاء والأكارع)، وَيـُوقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ. إِنَّهُ مُحْرَقَةٌ، وَقُودُ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ" (لا١:١٣).. ذلك لأنها تمثل **نصيب الله المحض** فى صليب المسيح.

ولا يذكر الكتاب أن المحرقة كانت تحرق حرقاً.. فهذا ما كان يحدث لذبائح الخطية.. "فَإِنَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُدْخَلُ بِدَمِهَا عَنِ الْخَطِيَّةِ إِلَى «الأَقْدَاسِ» بِيَدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ **تُحْرَقُ** أَجْسَامُهَا خَارِجَ الْمَحَلَّةِ **(حرقاً)**" (عب١٣:١١).. **هذا الحرق** إشارة إلى غضب الله المتقد على الخطية الممثلة فى هذه الذبائح.. "لأَنَّ «إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ»" (تث٤:٢٤، عب١٢:٢٩).

أما المحرقة فلا يقال عنها إنها تُحرق بل **تُوقد** (مثلما يقال عن البخور أنه يوقد، لا يحرق)، وتوقد بتمامها لله، لأنها نصيب الله وحده.. ولا ذكر فيها للخطية أو لحرقها، لأن هذا يدخل ضمن أنصبة الإنسان.

فإن كان المسيح قد مات، و"تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً **مِنْ أَجْلِ** الْخَطَايَا، الْبَارُّ **مِنْ أَجْلِ** الأَثَمَةِ" (١بط٣:١٨)، إلا أنه مات قبل ذلك، وبالدرجة الأولى، **من أجل** إشباع قلب الله (كالمحرقة كما رأينا).

فموته من أجل الخطايا هو لتسديد مطاليب العدالة الإلهية لحساب الإنسان.. لكن **تسديد مطاليب العدالة** شئ، **وإشباع قلب الله وإدخال السرور إليه شئ آخر**.. تسديد مطاليب العدالة **يعطى لله حقه**، لكن اشباع قلب الله شئ إضافى **لا علاقة له بالعدالة ولا بتسديد مطاليبها.. ولا بحقوق لله من جهة الخطية.. ولا بالخطية أصلاً**.. لذلك كان يرمز له بإيقاد المحرقة على المذبح "**وَقُودُ رَائِحَةِ سَرُورٍ** لِلرَّبِّ" (لا١:١٣)، وليس بإحراقها.

لأنه إن كان المسيح مات كمذنب - نيابة عن المذنبين - كان هذا موتاً **وجوبياً** - ما دام قد قبل النيابة - يقول عنه الرب أنه: "**يَنْبَغِي** أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ" (يو٣:١٤)، إلا أن موت المسيح كان فى نفس الوقت - كالمحرقة - موتاً **اختيارياً**، لا كمذنب تطالبه العدالة بتسديد الحساب، **وينبغى** عليه - والحال هكذا - أن يسدده **وجوبياً**، بل كان موتاً **اختيارياً** إذ قدم نفسه "**بسرور**" لله فى ذات الوقت (عب١٢:٢).

مع ملاحظة الفرق بين **الوجوبية** وبين **الإلزام**.. فالوجوبية تقتضى أن يكون هناك موت لفداء التعديات (عب٩:١٥).. ويكون هناك سفك دم لغفران الخطايا.. لأنه "بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ" (عب٩:٢٢) **هنا الوجوبية**.. والسؤال الآن من هو الذى عليه أن يموت ويسفك دمه؟.. إنه الإنسان المخطئ.. هل يلزم الله أحداً – غير المخطئ – بذلك؟.. لو فعل لكان ظالماً.. أما إن قبل أحد أن يموت **طوعاً – لا إلزاماً** – ليحقق هذه **الوجوبية القانونية**، فلم يعد هناك بعد ظلماً.. لذلك إن كان ينبغى **وجوبياً** أن يُرفع أحد، كما رفع موسى الحية فى البرية.. فإن ابن الإنسان (يسوع) قد قبل ذلك، **طوعاً لا إلزاماً**.. تحقيقاً **للوجوبية الشرعية القانونية المطلوبة** من عدالة الله.. دون أن يكون هناك إلزام له فى ذلك.

لذلك "كَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا **يَنْبَغِي** (وجوبياً للعدالة) أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ (لا إلزامياً له).... إلخ" (يو٣:١٤).

أما إن كان قد "أَسْلَمَ نَفْسَهُ **لأَجْلِنَا** (ففى نفس الوقت قدم نفسه)، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً للهِ **رَائِحَةً طَيِّبَةً** (كالمحرقة)" (أف٥:٢).

وعن موته الاختيارى هذا (كالمحرقة)، يقول له المجد عن نفسه: "**لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي**. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا" (يو١٠:١٨).. "لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لأَنِّي **أَضَعُ نَفْسِي (باختيارى)** لآخُذَهَا أَيْضًا **(باختيارى)**" (يو١٠:١٧).

والسؤال الآن: هل الآب يحب الابن لهذا السبب فقط؟.. الإجابة: كلا طبعا، لأن "**اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ**" (يو٣:٣٥).. وقد قال عنه "هذَا **هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ**" (مت٣:١٧).. فهو "**اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ**" (يو١:١٨) أزلاً أبداً.. أى موضوع محبة الآب ومسرته المستمرة، أزلاً أبداً، وعلى مر الأزمان.

هذه المسرة الأزلية الأبدية بالابن الحبيب - أضيفت إليها **مسرة أخرى** إن جاز التعبير - بتقديم الابن نفسه "مُحْرَقَةٌ، وَقُودُ رَائِحَةِ **سَرُورٍ** لِلرَّبِّ" (لا١:١٣).. وبالتالى كما **لو كان** هناك سبب إضافى آخر لمحبة الآب للابن يضاف إلى محبته الأزلية له.. لذلك يقول الرب: "لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، **لأَنِّي** أَضَعُ نَفْسِي (باختيارى) لآخُذَهَا أَيْضًا" (يو ١٠:١٧).

فإن كان **ابن الله** الوحيد "الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ" (يو ١:١٨)، هو موضوع محبة الآب أزلاً أبداً، فإن الله أضاف إليه - **كابن الإنسان** - محبة إضافية مُسبَّبة.. وذلك بسبب تقديم نفسه لله كمحرقة لإدخال السرور إلى قلبه.

من هنا كان قوله: "لهذا (أى لهذا السبب) يحبنى الآب (باعتبارى ابن **الإنسان**) **محبة** إضافية لمحبته الأزلية الأبدية لى، **كابن أحضانه الوحيد**".

وهذا هو النصيب الثانى لله فى صليب المسيح
وهو نصيب تحقق فى الزمان
بعد نصيبه الأزلى الأول بتقديم المسيح
نفسه له (لله) بروح أزلى

هل لنا نصيب فى المحرقة

إن كانت قطع المحرقة توقد بتمامها لله، فإن هناك جزءاً منها لا يوقد.. ماهو؟

إنه **جلد المحرقة**.. لذلك نقرأ: "وَالْكَاهِنُ الَّذِي يُقَرِّبُ مُحْرَقَةَ إِنْسَانٍ **فَجِلْدُ الْمُحْرَقَةِ الَّتِي يُقَرِّبُهَا يَكُونُ لَهُ**" (لا٧:٨).. لماذا؟.. لكى يكون رمزاً **لكساء البر** الذى أعده الله للإنسان.. فداخل جلد المحرقة، يكون لابسه كأنه المحرقة ذاتها.. فى

تمام قبولها أمام الله.. وهذا الكساء أو البر سيكون لنا تأمل فيه عند تناول موضوع "أنصبة فى القيامة".. فى عدد قادم بمشيئة الرب.

فلا يكفى أن يضع مقدم المحرقة يده عليها فى إشارة إلى إتحاده بها.. وبالتالى انسحاب رضا الله وسروره بالمحرقة على مقدمها.. فإن له رداءها أيضاً، ككساء بر، يستر كيانه الخاطئ أمام الله.

بقى شئ آخر أيضاً.. ماهو؟.. إنه "الْمَكَانِ الَّذِي تُذْبَحُ فِيهِ الْمُحْرَقَةُ" (لا ٦:٢٤).. أهذا أيضاً له اعتبار؟.. بالطبع.. فكل ما له علاقة بالمحرقة، له اعتبار لارتباطه بها.. حتى لو كان مكانها!.. ذلك لأنها رمز لمن أشبع وأسرَّ قلب الله.. ألا وهو الرب يسوع المسيح.

عجيب!.. أنذهب إلى هذا المكان؟.. أم نحج إلى الجلجثة حيث صلب يسوع؟.. كلا بالطبع.. بل كما أن للمحرقة رمز فى الصليب المسيح، **فلمكان ذبح المحرقة** رمز أيضاً.. ماهو؟ .. إنه **المكان** الذى منه تتصاعد رائحة السرور لله.

والسؤال الآن: ما لنا بهذا المكان؟

إنه مكان المؤمنين **عامة** فى نظر الله.. والعجيب أنه مكان المخطئ التائب لحظة توبته **خاصة**.. كيف؟

كان المخطئ قديماً يأتى بذبيحة خطيته (من النوع الذى يؤكل ولا يحرق - لا ٦:٢٦،٢٩).. ثم يتقدم ساحباً خلفه ذبيحة خطيته التى أخطأ بها.. نادماً.. سائراً وسط المحلة.. وبين جموع الشعب، إلى خيمة الاجتماع.. متذللاً معترفاً.. ليقدم هذه الذبيحة تكفيراً عن خطيته.

وكنا نتوقع - بعين الخيال - أن نرى الكاهن يقول له مثلا: انتظر حتى تُقَدَّم المحرقات وتُقبل، والتى لا ذكر فيه للخطية.. ثم يأتى دور المخطئين أمثالك

وخطاياهم.. وبعد انتظار يطول أو يقصر، يأخذه ليعترف بذنبه، ويُقِرَّ به، بعيداً عن الناس، متوارياً عن الأنظار، مستتراً عن الشعب.. "فالله أمر بالستر"، كما يقول الناس.. إلا أن الكتاب يقول: "مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ، وَمَنْ **يُقِرُّ بِهَا** وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ" (أم٢٨:١٣).. ويكفي هذا المخطئ أن قطع المسافة بين خيمته وخيمة الاجتماع، ساحباً خلفه **دليل إدانته أمام الجميع.**

لكن ما يحدث، كان بعكس ما نتوقع.. ما هو؟.. لقد كان الكاهن يأخذ المخطئ – ويا للعجب! – **إلى مكان مقدس**.. ما هو؟.. إلى "**الْمَكَانِ الَّذِي تُذْبَحُ فِيهِ الْمُحْرَقَةُ**" (لا٦:٢٤).. ونلاحظ أنه كانت هناك محرقتان.. واحدة صباحية حتى المساء.. وأخرى مسائية حتى الصباح.. **حتى لا تنقطع رائحة السرور أمام الله، طيلة الأربع والعشرين ساعة.**

يذهب المخطئ إلى هذا المكان.. معترفاً نادماً تائباً، مقدماً ذبيحة خطيته، لتذبح فى هذا المكان الذى تتصاعد منه رائحة السرور.. فيما يشير إلى أنه فى هذه الحالة وذلك الوقت إنما **يتمتع بكامل رضى الله وسروره**.. الذى هو فى **المحرقة** الدائمة صباحاً ومساءً.. قبل أن يكون فى **توبة** المخطئ.. أو **ذبيحة خطيته.**

فإن كانت السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب، **ففرح الله فى سماه أعظم بانسحاب كمالات محرقة ابنه الحبيب على هذا المخطئ التائب.**

وبالمثل كنا ننتظر أن يقف الابن الأصغر العائد إلى بيت أبيه، على بابه المفترض أن يكون مغلقاً.. ضارعاً متوسلاً.. نادماً متذللاً.. نائحاً باكياً.. إلى أن يلين قلب الأب فيفتح له.. إلا أن العكس هو الصحيح.. "إِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، **فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ**" (لو١٥:٢٠).. وذلك قبل أن يقول له الابن: "**أَخْطَأْتُ**....".. فيكفى أنه تاب ورجع.. وكان **رجوعه فعلاً**، وليس فقط **قولاً.**

لـقد كان هذا الابن - **جغرافياً - فى الطريق إلى بيت أبيه، لكنه - رمزياً - كان فى مكان ذبح المحرقة**.. أى مكان سرور الآب **تطبيقياً**.

"**خَرَجَ بُطْرُسُ** (بعد أن أنكر الرب، أثناء محاكمته) **إِلَى خَارِجٍ** (بعيـداً عن حضرة الـرب) **وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا**" (لـو٢٢:٦٢) من شدة ندمه على خطيـته.. كان بـطرس هنا - **جغرافياً - فى الخارج**.. لكن - **رمزياً - كان فى المكان الذى تذبح فيه المحرقة**.. يتمتع بكامل قبول الله وسـروره بمحرقة المسيح، الذى انسحب على بطرس، وهو يبكى وينتحب ويندم [٢].

كذلك نحن عندما يـخطئ أحدنا - وكلنا معرضون - يـأتى نادماً حزيناً على خطيـته فى حق الله.. وكما لو كان يـقدم ذبيـحة خطية.. لذلك وهو فى هذه الحالة من الحزن والندم، إنما يكون فى **موقع القبول والرضى بل وسـرور الله**، لا لشئ إلا لأنه **فى موقع ذبح المحرقة** - رمزياً - وفى كمالات محرقة ابنه.

مساكين أولئك الذين يظنون أنهم يقفون أمام باب مغلق للسماء.. وينادون: أغيثونا يا أهل السماء.. أنتم قديسون، ونحن خطاة.. فلتتشفعوا فينا بكراماتكم، عسى أن يقبلنا الله ويغفر لنا خطايانا بشفاعاتكم.. ويرضى علينا من أجل كمالاتكم.

ناسـين أن **كمالات البشر** - مهما سمت - ليست شيئاً على الإطلاق أمام **كمالات المحرقة**.. لأنكم "أَنْتُمْ أَيْـضًا، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ، لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا" (لو١٧:١٠).

كما أن الـمؤمن لا يـحتاج إلى شفاعة مخلوق من البشر، طالما أن "**لَنَا شَفِيعٌ**" (١يو٢:١) هو "**يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ**" (الشاهد السابق).. والذى تكفى **كمالاته** كالـمحرقة لتنسـحب على هذا المخطئ التائب.. لأنه يـقف - لحظة توبته - **فى المكان الذى تذبح فيه المحرقة** - رمزياً - لا فى مكان مزعوم أنه مغطى بسحابة من الطوباويين، أو مظلل بشفاعة من القديسين.

ثالثاً

النصيب الأول للمؤمنين

وهو نصيب زمنى

وهو رفع المعاناة والأوجاع والموت الحرفى

والسؤال الآن: هل هناك علاقة بين الصليب وعلاج معاناة وآلام الزمان الحاضر؟.. أو بعبارة أخرى هل ينسحب عمل الصليب على هذه المعاناة، فيرفعها، أم أن الصليب هو فقط لعلاج مشكلة الخطية الأبدية؟

الإجابة: بالتأكيد يمتد عمل الصليب إلى هذه المعاناة والآلام وموت الجسد.. بل يمتد أيضاً ليضرب فى مجالات أخرى، نقف عليها لاحقاً.

أن ما يكابده البشر من معاناة وآلام فى حياتهم – بل وموت حرفى – ليس إلا نتيجة ثانوية لدخول الخطية إلى العالم (بعد النتيجة الأصلية وهى الهلاك الأبدى) فإذ بالأرض – بعد السقوط – تُلعن وتُنبت للإنسان شوكاً وحسكاً.. وبالتعب يأكل منها كل أيام حياته.. وبعرق وجهه يأكل خبزاً حتى يعود إلى الأرض التى أُخذ منها (تك٣:١٧-١٩).

وهذا ما أكده الرسول: "إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ - لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا - (آدم)" (رو٨:٢٠).. كما وأُخضعت لعبودية الفساد (رو٨:٢١).. وهى "تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ" (رو٨:٢٢).. ونحن بدورنا كمفردات من هذه الخليقة أُخضعنا للبطل والفساد والأنين، بل والموت فى نهاية المطاف (عب٩:٢٧).

والمعاناة البشرية تشمل مكابدة كافة الأمراض الجسـديـة.. ومواجهة كافة الآلام النفسية.. ومقابلة كافة الصدمات العاطفية.... إلخ.. وصولاً إلى نهاية الجسد الترابى، بموت هذا الجسد.

ولضيق المقام، نكتفى بذكر ملخصات لهذه المعاناة

أولاً: الأمراض الجسدية: وهى تتنوع بين أمراض القلب، والكلى، والعظام، والصدر، والعيون.. إلى آخر الفروع والتخصصات الطبية.

ثانياً: الآلام النفسية: وهى تتنوع - كنتيجة - بسبب إنكار الأقرباء، أو خيانة الأصدقاء، أو خذلان الأحباء، أو تعيير الندماء، أو شماتة الأعداء.. إلى غير ذلك مما يسبب آلاماً - أو حتى أمراضاً - نفسية مؤلمة.

ثالثاً: الصدمات العاطفية: وتتنوع بين موت الأقرباء.. وفراق الأحباء.. وعقوق الأبناء.. وهجران الخلان.

وحتى نرى دور صليب المسيح فى رفع هذه المعاناة المثلوثة، نأخذ بعض الأمثلة لكل منها.

أولاً: الأمراض الجسدية

المرض لم يكن ليدخل إلى البشرية لولا دخول الخطية -كما سبق ذكره- ولولا لعنة الأرض التى أحالت بعض أنواع البكتريا والفطريات - المخلوقة لفائدة الإنسان - إلى جراثيم وميكروبات وفيروسات ممرضة وفتاكة ومميتة.

لذلك فإن رفع المرض مرهون بحفظ وصايا الله طبقا للنص:"**«إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ، وَتَصْنَعُ الْحَقَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَتَصْغَى إِلَى وَصَايَاهُ وَتَحْفَظُ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ، فَمَرَضًا مَا مِمَّا وَضَعْتُهُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ[٣] لاَ أَضَعُ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ»**" (خر١٥: ٢٦).

أى أن حفظت الوصايا لن تمرض.. لأن "مَخَافَةُ الرَّبِّ تَزِيدُ الأَيَّامَ، أَمَّا سِنُو الأَشْرَارِ فَتُقْصَرُ" (أم١٠:٢٧).. والنص يقول: "اتَّقِ الرَّبَّ وَابْعُدْ عَنِ الشَّرِّ، فَيَكُونَ شِفَاءً لِسُرَّتِكَ، وَسِقَاءً لِعِظَامِكَ" (أم٣:٧،٨).

أما إن مرضت فإنى "أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ" (خر١٥:٢٦).

لكنه **شفاء مشروط**.. فأنا شافيك بشرط مخافة الرب وتقواه، والتزامك بالوصايا والفرائض وصنع الحق فى عينى الرب (الشاهد السابق).

ولما كان جميع البشر قد أخطأوا.. و"الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (مز١٤:٣).. فتبعاً لذلك لن يُشفى ولا واحد إن مرض.

أما إن حدث وشفاه الرب - رغماً عن كونه إنساناً كاسراً الوصية - كان ذلك **تراجعاً** من الرب **عن شرطه** المذكور.

ماذا إذاً؟.. المفترض أن من يمرض يموت دون شفاء.. ودون أن تمتد يد الرب لشفائه - إن معجزياً، أو طبياً - فليس من حق أحد أن ينال الشفاء، طالما أخطأ الجميع.

ألا يوجد حل؟.. بلى.

إن وُجد من يحتمل جميع هذه الأمراض نيابة عن البشر، ويعانى من كافة آلامها وأعراضها كما يعانى البشر، حقَّ لله بعد ذلك ان يشفى المريض - معجزياً او طبياً - بدلاً من موته بهذا المرض.

والسؤال الآن: هل وجد البديل؟.. نعم إن المسيح كما احتمل خطايانا وعقوبتها الأبدية مائتاً موتاً كفارياً، فإنه قَبْلَ ذلك احتمل أمراضنا الجسدية وعقوبتها الزمنية.

كيف؟.. **يجيبنا** البشير متى، مقدّماً لنا لا نصاً **خبرياً** فقط، بل إجابة **منطقية** أيضاً.

فـالنص **الخبرى**: "..... قَدَّمُوا إِلَيْهِ مَجَانِينَ كَثِيرِينَ، فَأَخْرَجَ الأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ، وَجَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ" (مت٨:١٦).

لكن على أى أســاس؟.. يــعطينا البشير الرد **المنطقى** لأســاس الشفاء.. ماهو؟.. هو أن "يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ:«هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا»" (مت٨:١٧)[٤].

أى حتى يتمكن الله من شفاء المرضى دون - أن يكسر الشرط الموضوع لــلشفاء - كان لابد أن يرفع العقوبة المرضية - المقررة على البشر - بأن يحتملها المسيح نيابة عنهم.

فهو لم يــحمل الخطايا فقط ليمكّن الله من غفرانها، وإنما **حمل الأمراض أيضاً ليمكن الله من شفائها.**

والســؤال الآن: إن كان المســيح قد "حمل أمراضنا" فهل معنى هذا **أنه مرض؟**.. الإجابة إن **القدوس لا يمرض**، وليس لأى ميكروب أو غيره أن ينال من جــسده الطاهر شيئاً، أو يمس خلية واحدة منه.. لذلك لم يمرض يسوع، ابن الإنسان الكامل، ولا أصابته حتى نزلة برد مرة واحدة.. والدليل على ذلك أن عوامل الفساد وجحافل الميكروبات والفيروســات والديدان لم تستطع أن تنال من خلية واحدة من جســده الخالى من الخطية وهو فى القبر - مائتاً بجسده - فكيف لها أن تتمكن منه وهو حى؟

إذاً كيف أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا، طالما أنه لم يمرض؟.. الإجابة: أنه عانى من **أعراض جميع الأمراض وآلامها**، دون أن يمرض.. إذ كان "**رَجُلُ أَوْجَاعٍ** وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ" (إش٥٣:٣).

متى عانى؟.. طيـــلة حياته على الأرض - بصفة عامة - وبدءاً من فترة بستان جثيمانى، وما بعدها.. بصفة خاصة.

ففى البســتان وبســبب الضغط الواقع عليه (إش٥٣:٨)، وزيادة إفرازات هرمونىّ الأدرينالين والكورتيزول، ضاقت الشعيرات الدموية الدقيقة لديه وانفجرت، فــى ظاهرة طبية نادرة الحدوث، تسمى (Himatohidrosis).. فجرف تيار العرق الــدماء النازفة منها.. وتساقط "كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ".. كما كتب الطبيب البشير لوقا (لو٢٢:٤٤)[٥].

وبعد **بســتان** جثيــمانى فى طريقه إلى الصليب حيث حُوكم ظلماً، وجُلد، واحتمل إكليــل الشوك، ودق المســاميــر فى يـــديه ورجليه، وتعليقه على خشبة الــصليب.. تم كل هذا **قبل** أن يحتمل عقوبة الخطية.. **وقبل** أن يضع الرب عليه إثم جميــعنا.. **وقبل** أن يــحتمل الآلام الكفاريـــة، كجرعة ثانيــــة تضاف إلى معاناته المذكورة.

وعن هذه المعاناة - الحرفية لا الكفارية - نمرُّ مروراً سريعاً على أمثلة.. لنرى آلام عظامه مثلاً.. فمع أن كان يبيت فى الجبل - على ســـبيل المثال - فإن رطوبته شتاء لم تستطع أن تصيب عظامه **بالروماتيزم**.. إلا أنه على الصليب وقبل انصباب غضب الله عليـــه كحامل للخطايا.. قبل ذلك يقول: "انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي" (مز٢٢:١٤) متألماً بكافة الآلام التى تســـببها جميع أمراض العظام فى كل مفصل وعظمة.. بما فيها سرطان العظام.. فإن شفى الرب مريضاً بهذا السرطان (معجزياً أو طبيـــاً) كان هذا الشفاء ليس لاســـتحقاق هذا المريض - فهو ضمن الجميع الذى **زاغوا وفســـدوا** معاً، ولا يســـتحقون الشفاء، لكن - لأن المسيح فوق الصليب دفع ثمن شفاء هذا المريـــض بعظامه - شفاءاً زمنيـــاً - رغم أنه كاســـر الوصايا شأن الجميع.. وذلك قبل التكفير الأبدى عن الخطايا.

وأقول بكل إجلال واحترام، أن الله لم يـكن يـقبل على نفسـه أن يشفى مريـضاً واحداً لولا أن المسـيح قد أخذ أسـقامنا وحمل أمراضنا، ضمن الحزمة المريرة من الآلام التى احتملها، فى الفترة السابقة لحمله الخطايا، فوق الصليب.

بل إن الرب يسـوع نفسه كانت **حيثيته** لشفاء الأمراض أيام تجسده – له المجد – هو أنه أخذ هذه الأسقام وحمل تلك الأمراض (مت٨:١٧).

وما يـقال عن أعراض أمراض الـعظام يـقال عن أعراض جميـع الأمراض.. لأن سـيدنا قد تألـم مجربـا "فِي كُلِّ شَـيْءٍ مِثْلُـنَا، بِلاَ خَطِيَّـةٍ" (عب٤:١٥).

فعن أعراض أمراض الكلى وآلامها الحارقة، يقول سـيدنا بروح النبوة: "لأَنَّ **خَاصِرَتَيَّ** (كليتى) قَدِ امْتَلأَتَا احْتِرَاقًا، وَلَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ" (مز٣٨:٧).

وعـن الالتهاب الرئوى ومعاناة المصابين به، يقول: "خَلِّصْنِي يَا اَللهُ، لأَنَّ **الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِـي. غَرِقْتُ فِي حَمْأَةٍ عَمِيقَةٍ**، وَلَيْسَ مَقَرٌّ. دَخَلْتُ إِلَى أَعْمَاقِ الْمِيَـاهِ، **وَالسَّـيْـلُ غَمَرَنِي**" (مز٦٩:١،٢).. وهو نفس ما يعانيه مريض الالتهاب الرئوى إذ تمتلئ رئتيه بالسوائل.. وإن مات، يموت غريقاً، ولكن على سريره.

وعن آلام الذبحة الصدرية، يقول: "صَارَ **قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ** فِي وَسَطِ أَمْعَائِي" (مز٢٢:١٤).

سألتنى إحدى الفتيات المحرومات من نعمة البصر: "أنت تقول أن المسيح تألم فى كل شئ مثلنا مجرباً.." فهل اختبر معاناة العميان؟.. قلت لها: نعم.. فعن هذه المعاناة، يقول بالنبوة: "قُوَّتِي فَارَقَتْنِي، **وَنُورُ عَيْنِي** أَيْضًا لَيْسَ مَعِي" (مز٣٨:١٠).. إذ عانى من العمى المؤقت من كثرة النزيف من الجلدات وإكليل الشوك.

بل أكثر من هذا.. فالأعمى يحظى بشفقة المجتمع.. فيسوقونه فى الطريق إلى أماكن السـلامة، لئلا يصاب أو يموت.. اما سـيدنا فكان "كَشَاةٍ تُسَاقُ (لا إلى السلامه، بل) إِلَى الذَّبْحِ" (إش٥٣:٧).

قد سـيـق كالـحمل   من كان فى الـمجد
رب الورى وابن العلى   لـلـصلـب والـلحد

وبالطبع كان عمى مؤقتاً، لأنه بعد ذلك أبصر المريـمات ويوحنا واقفين عند الصليب (يو١٩:٢٥،٢٦).

يـموت البعض من عضة الكلب، لكن من يتعاطى علاجاً يُشفى.. ولو لم يـكن يـسـوع قد عانى مثل هذا المعضوض ما كان أى معضوض سـيشفى!.. عجيب!!.. هل عض يسـوعَ كلبٌ؟.. ربما المقصود قوله: "قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ" (مز٢٢:١٦).. هذا صحيح من جهة حصاره "بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ" (لو٢٢:٥٢)، كما لو كان سـيهرب، كما تحاصر كلاب الصيد فريسـتها، لكن كلامنا هنا عن عضة الكلب، لا عن حصار الكلاب.

ونـوى إيضاحاً لذلك فى هذه الحادثة.. عض كلبٌ أحد الإخوة، فى صعيد مصر، قبل خمسـينيـات القرن الماضى.. ولظروف تلك القرية، فى ذلك الزمان الغابر، قدموا له العلاجات البدائيـة.. لم تُجْدِ.. ولأن عضة الكلب تصيب الإنسـان بفيروس داء الكلب، فمن أعراض هذا المرض صعوبة البلع، مع الخوف الشديد من الماء، فيـموت المعضوض - إن لم يـعالج - بالتهاب مميـت فى الدماغ، والحبل الشوكى.. لكنه يـموت أيضاً عطشاناً.. حانت سـاعة انتقال هذا الأخ المعضوض، فكانت كلماته الأخيرة عظة لنا جميعاً إذ قال: "المسـيح مات عشتان (عطشان) وأنا ها أموت عشتان".

وهو ما اختبره يسوع قبل أن يسلم الروح عندما قال: "«أَنَا عَطْشَانُ»" (يو١٩:٢٨).. مائتاً كما يموت المكلوب عطشاناً.. وكما يموت أيضاً المصاب فى حادث دموى مكابداً آلام العطش، قبل وفاته مباشرة.

دعيت بعد حرب أكتوبر لزيارة جندى قطعت ساقيه الاثنتين فى المعركة.. سألت نفسى ماذا أستطيع أن أقول له.. لا توجد كلمات تعوضه عن فقد ساقيه.. لاسيما لو كانت كلمات صحيح معاف مثلى.. إنه يحتاج إلى كلمات ليست فى ذهنى.. بل من شخص غيرى اختبر قطع ساقيه.. لمعت لى بالروح القدس فكرة أن يسوع قد عانى من مثل هذا الأمر.. عجيب!!.. هل قطعت ساقيه؟.. لقد سمرتا لكن لم تقطعا.. فكانت الإجابة من سفر المزامير.. إذ كُتب عن معاناته التى تشبه معاناة من قُطعت ساقيه، فقال بالنبوة: "لأَنِّي مُوشِكٌ أَنْ **أَظْلَعَ**، وَوَجَعِي مُقَابِلِي دَائِمًا" (مز٣٨:١٧).. "وَلكِنَّهُمْ فِي **ظَلْعِي** فَرِحُوا" (مز٣٥:١٥).

والظَلَعْ هو التعثر فى المشى، يليه السقوط على الأرض.. ففى بلاد حضارتها عريقة كمصر، يربطون البهيمة التى ستذبح بكيفية معينة من رجليها.. ثم يسحبون طرف الحبل فتسقط البهيمة.. أما فى بعض البلاد الأخرى، فحتى تسقط البهيمة أرضاً، فإنهم يكسرون بالساطور أرجلها الأربعة.. فتجرى البهيمة وهى **تظلع** (أى تعتسف) ثم تنكفىء على الأرض.. فلم يعد لها أرجل قادرة على حملها.

وهذا - أقول بكل إجلال - ما حدث لسيدنا عندما تعثر فى طريقه حاملاً صليبه، **وظلع**، فسخّروا له "سمعان القيروانى" ليحمل له الصليب (مر١٥:٢٢).

نعم، لقد "أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا" (مت٨:١٧).. أو بالحرى أعراض جميع أمراضنا.. وبالتالى حق له أن يقول ليس لمنفذ الوصية فقط (إن وجد) بل لكاسر الوصية أيضاً: "أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ" (خر١٥:٢٦).. لأنه احتمل النتيجة الحرفية لكاسر الوصية.. وهى آلام جميع الأمراض.

ونلاحظ أنه حتى الشوك الحرفى - كجانب من العقوبة الحرفية لسقوط الإنسان - قد احتمله فوق رأسه مكللاً به (مت٢٧: ٢٩).. وقد كان من المنطقى لعبارة: "وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ (الأرض)" (تك٣: ١٨).. أن تليها عبارة مثل: "بعرق وجهك تأكل **شوكاً**".. لكن الحادث أن العبارة التالية كانت: "بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ **خُبْزًا** (لا شوكاً)" (تك٣: ١٩)... لقد ذهب الشوك كطعام، ليُستبدل بالخبز.. على أى أساس؟.. هل تراجع الرب فى تنفيذ هذا الجانب الحرفى من العقوبة؟.. حاشا.. بل لأن يسوع فى طريقه إلى الصليب - وقَبْلَ أن يحتمل الآلام الكفارية - قد احتمل **الآلام الحرفية**، ومنها **تكليله بالشوك**، حتى يتسنى لله، إذ ذاك، أن يعفو عن البشر - من هم قبل الصليب، ومن هم بعده - فلا يأكلون شوكاً، بل خبزاً[٦].

وما يقال عن أمراض الجسد، يقال عن كافة أنواع المعاناة النفسية التى يعانيها الإنسان.. فقد عانى من **الخذلان** (إش٥٣: ٣).. ومن **الخيانة** (مت٢٦: ١٤، ١٥).. ومن **الإنكار** (مت٢٦: ٦٩-٧٤).. ومن **التعيير** (مز٦٩: ٦).. ومن **التجديف** (مت٢٧: ٣٩).. **ومن السخرية** (لو٢٣: ٣٥).

فإن تركنا معاناة الجسد والنفس، وجدنا أيضا أن المعاناة العاطفية قد كابدها الرب إذ تركه الجميع (يو١٦: ٣٢).. فاختبر ألم الوحدة وانتظر مُعَزِّينَ فَلَمْ يجد (مز٦٩: ٢٠).. فصار كما قال عن نفسه بروح النبوة: "صِرْتُ كَعُصْفُورٍ مُنْفَرِدٍ...." (مز١٠٢: ٧).. وهو العصفور الخامس فى المثل.. لأنه إن كان عصفوران يباعان بفلس" (مت١٠: ٢٩).. فالأربعة بفلسين.. لكن يقول الرب: "أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ تُبَاعُ بِفَلْسَيْنِ، وَوَاحِدٌ مِنْهَا لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ اللهِ" (لو١٢: ٦).. من هو هذا الواحد؟.. إنه العصفور **الخامس**.. فالأربعة عبارة عن زوجين.. كل زوج هو عصفور ووليفه.. أما الخامس فليس له وليف.. لذلك فإن البائع يعطيه للمشترى مجاناً (فوق البيعة).. لماذا؟.. لأنه لو بات لدى البائع لمات.. لماذا؟.. من ألم الوحدة، إذ لا وليف له.

هكذا سـيـدنا المبارك كان هذا العصفور المنفرد الوحيـد[٧]، الذى قال لـتلاميـذه: "تَأْتِي سَـاعَةٌ، وَقَدْ أَتَتِ الآنَ، تَتَفَرَّقُونَ فِيـهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَـى خَاصَّتِهِ، وَتَتْرُكُونَنِي وَحْدِي" (يـو١٦:٣٢).. وقال لأخِصـَّائه الثلاثة من التلاميـذ - بطرس ويعقوب ويوحنا - وقت معاناته فى بسـتان جثيمانى: "أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟" (مت٢٦:٤٠).

لـذلك فكل ألم عاطفى يستطيع الرب أن يعالجه.. ذلك لأن هذا الألم ضمن نتائج سـقوط الإنسان الزمنية، التى تحملها الرب حتى يرفعها عن الإنسان.. ضمن منظومة أحزاننا وأوجاعنا.. أسقامنا وأمراضنا.. التى حملها وتحملها.

بـقيت نتيجة زمنية أخيرة لسقوط الإنسان.. وهى **موت الجسد**.. فإن كانت أجرة الخطيـة هى موت (رو٦:٢٣) فإن هذا الموت يشمل جوانبه الثلاثة.. **الموت الأول**، وهو موت الجسـد.. **والموت الثانى**، وهو الطرح فى "الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ" (رؤ٢١:٨).. والموت الأدبى، وهو الموت بالذنوب والخطايا (أف٢:١).

والموت الأول هو من النتائج الزمنيـة للسـقوط.. بينما الموت الثانى هو نتيجة أبدية.. والرب يسـوع على الصليب احتمل الموت بكافة جوانبه الثلاثة.. فقد "تَأَلَّـمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْـخَطَايَـا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُـقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ (محتملاً النتيجة **الأبدية** لخطايا الإنسـان)، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ (محتملاً النتيجة **الزمنية** لسـقوط الإنسان)" (١بط٣:١٨).. متروكاً من الله فى مواجهة العدالة[٨] (مز٢٢:١، مت٢٧:٤٦) محتملاً النتيجة **الأدبية** لفساد الإنسان.

وإذ احتمل الموت الأول.. وهو موت الجسـد، حق له أن يقيم الأجسـاد بـعدما دفع ثمن موتها الحرفى.. وحق له أن يقول: "مَنْ آمَنَ بِي **وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا**" (يو١١:٢٥).. و" تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، **فَيَخْرُجُ** الَّذِينَ

فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ" (يو ٥: ٢٨، ٢٩).

وهذا هو النصيب الأول للمؤمنيين فى صليب المسيح ألا وهو رفع النتائج الزمنية لسقوط الإنسان.. سواء كانت هذه النتائج، أمراضاً عضوية أو نفسية أو عاطفية.. أو كانت شوكاً أو حسكاً.. أو موتاً حرفياً[٩] .

رابعاً

النصيب الثانى للمؤمنين

وهو نصيب روحى

وهو رفع المذنوبية الفعلية عن المؤمن

أنا - كإنسان - مذنب.. **بشهادة الله**، طبقا للنص: "إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رو٥:١٢).. وأيضاً **باعترافى**، والاعتراف سيد الأدلة.. إذ أن لسان حالى: "أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي...." (مز٣٢:٥).

ما هو هذا الذنب؟

بإعلان الكتاب المقدس، أنا مذنب ثلاث مذنوبيات.

أولاً : المذنوبية الفعلية.

ثانياً : المذنوبية التضامنية.

ثالثاً : المذنوبية الحسابية.

ولى فى صليب المسيح علاج للمذنوبيتين الأولى والثانية.. وهما المذنوبية الفعلية، والمذنوبية التضامنية.

فالمذنوبية **الفعلية**، علاجها **الغفران**.. وهو على أساس **صليب المسيح**، كما سنرى.

والمذنوبية **التضامنية**، علاجها، **موتى الشرعى**.. وقد تم **بموتى** مع المسيح **فى الصليب**.. كما سنرى.

أما المذنوبية **الحسابية**، فعلاجها فى **قيامة المسيح** - كما سيأتى ذكره فى عدد قادم، بعنوان: "أنصبة فى القيامة" بمشيئة الرب.

وهناك عبارة واحدة فى العهد الجديد ضمت علاج هذه المذنوبيات الثلاث.. وهى "**الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا** (لعلاج مذنوبية الخطايا الفعلية، والمذنوبية التضامنية) وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا (لعلاج المذنوبية الحسابية)" (رو٤: ٢٥).

رفع المذنوبية الفعلية

علاج هذه الحالة؛ حالة مذنوبيتى الفعلية، أو بالحرى رفعها عن كاهلى، كانت بوضعها على بديلى، الذى "أُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ" (إش٥٣: ١٢)، فكان مذنباً **فى نظر الناس**.. والذى عومل فوق الصليب نيابة عنى، كمذنب **فى نظر الله**.. كقوله لله: "ذُنُوبِي عَنْكَ لَمْ تَخْفَ" (مز٦٩: ٥).

وكما لو كان المسيح - على تل الجلجثة، وفوق الصليب - يقف فى ساحة محكمة العدل الإلهية، كمذنب.. وهى لا تقارن بأى محكمة عليا أو استئناف، أو محكمة نقض، أو حتى محكمة العدل الدولية.. فكلها محاكم بشرية.. عدالتها **نسبية**.. أما عدالة محكمة الله **فمطلقة**.. تساءل عنها إبراهيم يوماً، قائلاً: "أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟" (تك١٨: ٢٥).. وكتب عنها المرنم: "اَللهُ قَاضٍ عَادِلٌ" (مز٧: ١١).

وتتضمن هذه العدالة تحريك الدعوى ضدى لسببين، سبب شكلى، وسبب موضوعى.

السبب الشكلى:

هو ما نقرأ عنه: "**كُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ**" (رؤ٢٠: ١٥).. فمجرد عدم وجود الاسم فى سفر الحياة، يقود صاحبه إلى المحاكمة والدينونة.. شكلاً، قبل أن يكون موضوعاً.

وما الذى يمنع وجود اسـمه فى سـفر الحياة؟.. هو سبب من جانبه.. ما هو؟.. ربما يظن أحد أنها خطاياه.. كلا.. ليسـت خطاياه، بل **قساوته**.. كما يكتب الرسـول: "**وَلكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ، تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ...**" (رو٢:٥).

فالقسـاوة، أو رفض التوبة المتكرر، وبالتالى رفض المسيح وعمله على الصليب، هو ما يميز غير المكتوبين فى سفر الحياة.

وبالتالى يدخل هؤلاء؛ غير المكتوبين فى سـفر الحياة إلى محكمة العدل الإلهية.. **قبل أى سـبب موضوعى مختص بأعمالهم.. مجرد عدم وجود أسمائهم فى الكشف، أو بالحري فى سـفر الحيـاة، يجعلهم يقادون إلى الدينونة**.. كإجراء **شكلى**.. قبل أن تكون هناك أسباب **موضوعية**، تتم مناقشتها.

السبب الموضوعى:

هو **الخطايا** كما يعرفها الله **كمّاً، وكيفاً**.

فسـفر أعمال الإنسان (رؤ٢٠:١٢)؛ مدون فيه كل خطاياه التى يعرفها.. وحتى التى لم يـشعر بها (مز١٩:١٢)، هذا من الناحيـة **الكميـة**.. أما من ناحية **الـكيفية**، فهى شناعتها، إذا قيست بمقياس الله الذى ارتبكت فى حقه الخطية بالدرجة الأولى (تك٣٩:٩).

لـذلك فإننا نقرأ عن هذين السببين، الشكلى والموضوعى، فى شاهدين من الكتاب:

الشاهد الأول: أمام العرش العظيـم الأبيـض – عرش الدينونة – نقرأ: "وَرَأَيْتُ الأَمْوَاتَ صِغَارًا وَكِبَارًا وَاقِفِينَ أَمَامَ اللهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ، وَانْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرُ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ.... **وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ**"

(رؤ ٢٠: ١٢، ١٥)، **كسبب شكلى** لطرحه فى بحيرة النار.. ثم نستكمل القراءة: "وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ **بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ**.... وَدِينُوا كُلُّ وَاحِدٍ **بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ**" (رؤ ٢٠: ١٢، ١٣)، **كسبب موضوعى** لدينونتهم.

الشاهد الثانى: وهو ما سبق ذكره - "لكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ **قَسَاوَتِكَ** وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ (وليس من أجل خطاياك)، تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ (**كسبب شكلى، للوقوع تحت وطأة غضب الله**)، الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ **أَعْمَالِهِ** (**كسبب موضوعى للمجازاة**)" (رو ٢: ٥، ٦).

فعدم وجود اسمه مكتوباً فى سفر الحياة - من أجل قساوته - سيمضى به إلى الوقوف أمام العرش العظيم الأبيض دون أية إشارة إلى أعماله.. مجرد عدم إدراج إسمه فى سفر الحياة، هو ما يصل به إلى المحاكمة أمام عرش الديان العظيم الأبيض، كسبب **شكلى**.. أما أعماله.. فبعد مثوله للمحاكمة سيدان من أجلها، كسبب **موضوعى**.

نعود إلى سيدنا - له المجد - فوق الصليب، فنجده يحاكم عما لم يعمله، بل عما فعلناه نحن، ولم نجاز عليه (أى٣٣: ٢٧).. وكما لو كان نودى على اسمى أنا وغيرى.. وكما لو كان رد المسيح: أفندم.

- أ أنت فلان (أو فلانة)؟

المسيح - نعم

- فلان هذا خاطئ ومذنب.. كذلك فلانة.. وارتكبوا الخطايا فعلاً.

المسيح - "احْسِبْ ذلِكَ **عَلَيَّ**" (فل١٨).

- ولكنها ليست خطاياك.

المسيح - اعتبرها خطاياى وذنوبى أنا: "يَا اَللهُ أَنْتَ عَرَفْتَ **حَمَاقَتِي، وَذُنُوبِي** عَنْكَ لَمْ تَخْفَ" (مز ٦٩: ٥).

- ولكنها كثيرة جداً.

المسيح - حتى لو كانت أكثر من شعر رأسى "**لأَنَّ شُرُورًا لاَ تُحْصَى قَدِ اكْتَنَفَتْنِي. حَاقَتْ بِي آثَامِي، وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْصِرَ. كَثُرَتْ أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي**" (مز٤٠:١٢).

هذا من جهة كميتها.. أما من حيث جسامتها وشناعتها فإن مجرد "**فِكْرُ الْحَمَاقَةِ** (فى نظر الله) **خَطِيَّةٌ**" (أم٢٤:٩).. "**وَمَنْ قَالَ** (لأخيه)**: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ**" (مت٥:٢٢).

وكما لو كانت العدالة الإلهية تسأل المسيح:

مادمت قد قبلت أن تكون فاعلها فلتوضع عليك - كمّاً وكيفاً - وهذا ما حدث "**وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا**" (إش٥٣:٦).. حتى لو كانت هذه الآثام **أكثر** من شعر الرأس **عدداً** (مز٤٠:١٢).. و**أدكن** من القرمز، أو **أحمر** من الدودى (صبغة شديدة الحمرة) **قتامة**[١٠] (إش١:١٨).

ولما وضعت عليه الخطايا الفعلية، وتحمل مذنوبيتها - كما لو كان هو فاعلها الأصلى - انصبت عليه **لجج الدينونة وميازيب (شلالات) العقوبة الأبدية**.. وفى هذا نقرأ: "**غَمْرٌ يُنَادِي غَمْرًا عِنْدَ صَوْتِ مَيَازِيبِكَ. كُلُّ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ طَمَتْ عَلَيَّ**" (مز٤٢:٧).. "**عَلَيَّ اسْتَقَرَّ غَضَبُكَ، وَبِكُلِّ تَيَّارَاتِكَ ذَلَّلْتَنِي**" (مز٨٨:٧).

حدث هذا وقت أن تركه الله يواجه العدالة الإلهية.. وهذا فى حد ذاته هو الجحيم بعينه.. لذا كانت صرخته: "**إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي**"[٨] (مز٢٢:١، مت٢٧:٤٦، مر١٥:٣٤).. أية نيران فى تلك الساعة كانت تجتاز:

أولاً: فى جسده - كما يكتب الرسول بطرس أنه "**حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ.... الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ**"[١١] (١بط٢:٢٤).. ونلاحظ أن كلمة

جلدته جاءت بصيغة المفرد، وليست جلداته بصيغة الجمع، إذ لم تكن هى الأربعين جلدة إلا واحدة التى جلد بها (حسب القانون الرومانى).

ما المعنى إذاً؟.. المقصود **بجلدته** أنها آلامه الكفارية، لاسيما وأن هذه الكلمة ترد مباشرة بعد بعد عبارة: "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا".. أى احتمل عقوبتها الكفارية فى جسده على الصليب.

ثانياً: فى نفسه -كما يكتب النبى الباكى إرميا: "أَمَا إِلَيْكُمْ يَا جَمِيعَ عَابِرِي الطَّرِيقِ؟ تَطَلَّعُوا وَانْظُرُوا إِنْ كَانَ حُزْنٌ مِثْلُ **حُزْنِي** الَّذِي صُنِعَ بِي، الَّذِي **أَذَلَّنِي** بِهِ الرَّبُّ يَوْمَ حُمُوِّ غَضَبِهِ؟" (مرا ١٢:١).. إلى هنا يمكن أن يقال أن هذا هو ما كابده إرميا من إذلال وأحزان.. لكن بقية العبارة تمتد إلى ما هو أوسع من اختبار إرميا، إذ تنسحب على ما لم يكابده إرميا، بل كابده الرب يسوع، عندما يضيف: "مِنَ الْعَلاَءِ أَرْسَلَ نَارًا إِلَى عِظَامِي فَسَرَتْ فِيهَا" (مرا ١٣:١).. فنيران فى العظام كألم **جسدى**.. وإذلال وحزن كألم **نفسى**.. كابدهما الرب فوق الصليب.. وهما نفس ما سوف يختبره أولئك الذين سيطرحون فى بحيرة **النار**.. "وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلاً إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ ١٠:٢٠).. فى **حزن** دائم، وندم مقيم.. إذ لن تختفى الندامة عن عيونهم (هو ١٤:١٣).

هذه التوليفة من العقوبة الإلهية للخطية، التى احتملها فى جسده وفى نفسه، يسميها المفسرون: "**الآلام الكفارية**".. وهى تسمية كتابية لأن المسيح مات "**كفارة** لخطايانا" (١يو ٢:٢، ١يو ١٠:٤).. وهذه الآلام الكفارية هى بخلاف آلام الجلدات وإكليل الشوك والمسامير.. فهذه الأخيرة كانت من يد البشر، أما الآلام الكفارية فكانت من يد العدالة الإلهية، وتحملها **كاملة**.. لذا قالها له المجد كآخر كلماته: "قَدْ أُكْمِلَ"[١٢] (يو ٣٠:١٩).

وإذ احتملها المسـيـح نيابة عنا وجوزى لأجلها بديلاً لنا، **عبرت عنا** هذه الديـنونة، والتى كنا نسـتحق أن نكابدها جزاء خطايـانا، محتملين نيرانها إلى أبد الآبدين.. وإذ **عبرت**، تمت فينا العبارة: "أَرَى الدَّمَ **وَأَعْبُرُ** عَنْكُمْ" (خر١٢:١٣).

لم تعبر عنا فقط الدينونة المقبلة، باحتمال المسـيح لها، ولم ترفع عنا فقط هذه المذنوبية الفعلية، بوقوعها على بديلنا فى الصليب، بل امتد عمل المسـيح إلى ماضيـنا، سـبب هذه المذنونية وتلك الدينونة، وإلى خطايانا المسـجلة فى أسـفار أعمالنا.. فمحيـت تلقائياً منها.. وغفرت تماماً كما لو لم نكن قد فعلناها.. واختفت من أمام وجه الله.. وطرحت فى الـبحر، لأنه "يَـدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي **أَعْمَاقِ الْبَحْرِ** جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ" (مى٧:١٨).

ولأن طرح الخطايـا فى البحر يـمكِّنها من الظهور ثانيـة، بصورة أو بأخرى.. كأن تطفو.. أو يـجف البحر.. أو يـرصدها قمر صناعى.. أو يـلتقطها روبوت.. لذلك فحتى يـكون التشبيـه الكتابى - لا جامعاً فقط.. بل أيضاً - مانعاً، فاننا نقرأ: "وَالْـبَحْرُ **لاَ يُـوجَدُ** فِي مَا بَعْدُ" (رؤ٢١:١).. لـقد ذهب البحر وراح، وراحت معه خطايانا إلى العدم المندثر.

لذلك فإن الكتاب يسـوق لنا تشبيهاً جامعاً مانعاً لمحوها،ألا وهو تشبيهها **بـسحابة عابرة**.. ظهرت لحظة، ثم رحلت إلى أثر منعدم.. فنقرأ: "قَدْ مَحَوْتُ **كَغَيْمٍ** ذُنُوبَكَ وَكَسَحَابَةٍ خَطَايَاكَ" (إش٤٤:٢٢).

لـذلك فهو **غفران أبدى**، لا رجعة فيه.. فـ "لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا **فَيَكْذِبَ**، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ **فَيَنْدَمَ**" (عد٢٣:١٩).. و"لَهُ (للمسيح) يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ **يَـنَالُ بِاسْمِه غُفْرَانَ الْخَطَايَا**" (أع١٠:٤٣).. كقول الرب يسوع لشاول الطرسوسى: ".... حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي **غُفْرَانَ الْخَطَايَا**...." (أع٢٦:١٨).

وبناء على هذا الغفران قد رفعت المذنوبيــــة الفعليــــة وانقضت الديـــنونة الأبدية عن كل من يؤمن بموت المسيح نيابة عنه.

الخلاصة

نصيبنا الثانى فى موت المسيح هو رفع المذنوبية الفعلية بحمله إيـــاها نيابة عنا.. وغفران خطايانا، ومحوها إلى الأبـــد، من سجلات السماء ليصبح سفر أعمالنا خالياً من أى خطيـــة، ومن كل خطيـــة، كنتيجة لشخص المســـيح وعملـــه.. وموته الـــكفارى.. وقبولـــــنا موته النيـــابى والكفارى هذا عنا.

خامساً

النصيب الثالث للمؤمنين

وهو نصيب روحى

وهو رفع المذنوبية التضامنية عن المؤمن

ما هى المذنوبية التضامنية؟

هى أنّ تضامنى مع مذنب، يـجعلنى مذنباً بالتبعيـة، دون أن أكون مذنباً فعلياً.

مثال: إن أخفيـت، فى منزلى، لصاً محكوماً عليـه بالسـجن وتم ضبطه عندى، صرت شريكاً له فى جرمه، دون أن أكون قد سرقت بالفعل.

والســؤال الآن: ما هو هذا الذى أخفيه بين جنباتى، حتى أُعتبر مذنباً؟.. إنها الطبيـعة العاصيــة الموروثة من آدم.. لأنى "هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ (الطبيعة العاصية كما سنرى) حَبِلَتْ بِي أُمِّي" (مز ٥١:٥).

وقد سـبق شرح كنه هذه الطبيعة فى أعداد سـابقة من هذه السلسـلة بالتفصيل[١٣].

وبالاختصار، فإن هذه الطبيعة هى طبيعة الاستقلال عن الله وعمل الإرادة الذاتية، من منطلق النديّة له، وبالتالى عدم الاحتياج إليه.

وقد دخلت جرثومة هذه الطبيـعة إلى آدم عنما سـمع، مع زوجته حواء صوت الحية القديمة – الذى هو إبليس – وأطاعاها عندما قالت لهما يوم تأكلان من الشجرة (المنهى عن الأكل منها) تنفتح أعيـنكما (نظير الله) وتريان طريقكما (كما

يـرى هو طريـقه) وتعرفان الخير والشر (كما يعرفهما هو) (تك٣:٥).. وبالتالى لا تكونان فى حاجة إليـه.. وتقولان له: لقد استغنينا ولا حاجة لنا إليـك.. ولا ضرورة لـوجودك فى حيـاتنا.. فمن جهة **انفتحت أعيـننا** وصرنا مثلـك نعرف طريـقنا.. ومن جهة أخرى – وهذا هو الأهم – صرنا **أصحاب قرارنا**، نعمل مـا نريد كما تعمل أنت ما تريد، حتى لو كان ما نريده نحن هو نفس ما تريده أنت؛ أى الـخير.. فليست القضية هى عمل الخير كما تأمرنا أنت به، والامتناع عن الشر كما تنهانا أنت عنه، بل القضية هى: **من يحدد أن هذا خير وهذا شر**.. من ثم يتخذ القرار.. أنت أم نحن بعدما أكلنا من الشجرة.. وصرنا مثلك عارفين الخير والشر؟

إنها قضية الاسـتقلال التام عنك، وعدم التبعية لك، وعدم الانقياد وراءك، والسـيـادة الكاملة على حيـاتنا، وامتلاك حقنا المطلق فى اختيار طريقنا واتخاذ قرارنا.

هذه هى جرثومة الخطية الأصلية.. **إنها روح الاسـتقلال عن الله وعمل الإرادة الذاتية**.. وهى أم كل الخطايا.. وأصل كل الشرور.. ونبع كل المفاسد.

وقد ورث الجنس البشرى كله هذه الطبيعة، بالأدلة الكتابية، وبالدليل المنطقى.

أولاً: الأدلة الكتابية:

إضافة إلـى مارد فى الـعهد الـقديـم على فم داود النبى: "**هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي**" (مز ٥١:٥)، فإن ثلاثة من كتبة الوحى فى العهد الجديد قد أشاروا إلى ذلك.

١- الرسول بولس: "فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، **شَيْءٌ صَالِحٌ**" (رو٧:١٨)

٢- الرسـول يوحنا: "إِنْ قُلْنَا: **إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ** (أصلية) **نُضِلُّ أَنْفُسَنَا** وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا" (١يو ١:٨)

٣- الرسول بطرس: "هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ **بِالشَّهْوَةِ**" (٢بط١:٤).. فإن كان الفساد فى العالم، **فإن الشهوة هى فينا.**

ثانياً: الدليل المادى:

إنه **حتمية الموت والتحلل والفساد** لهذا الجسد الذى تسكنه الخطية.. فلو كان المؤمن قد خلا جسده من الخطية، لكنت تضعه فى القبر فلا يتحلل.. هذا إن دخل القبر أصلاً، أو كان للموت سلطان عليه.. إذ لا سلطان للموت على شخص خلا جسده من الخطية من جانب.. ولم يفعل خطية من الجانب الآخر.. إذ قد "وُضِعَ لِلنَّاسِ (بما فيهم المؤمنين) أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً" (عب٩:٢٧).. ثم تتحلل أجسادهم بعد ذلك (تك٣:١٩) فى خضوع لعبودية الفساد (رو٨:٢١ ، ١كو١٥:٤٢).. كل هذا لأنه "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ (آدم) دَخَلَتِ **الْخَطِيَّةُ (الأصلية)** إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، **إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ (خطايا فعلية)**" (رو٥:١٢).

ولسنا بحاجة إلى أن نذكر أن المولود الوحيد - دون بنى البشر قاطبة - هو القدوس المولود من مطوبة الأجيال؛ العذراء مريم؛ أى يسوع، الذى "لَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ" (١يو٣:٥) كابن الإنسان - لذلك لم ير جسده فساداً (أع٢:٢٧،٣١).. بعد أن وضع فى القبر - له المجد.

ما هو علاج هذه الخطية الأصلية التى فىَّ؟

هل يستطيع الله كلى المحبة الذى بذل ابنه من أجلى أن يغفرها لى؟

الإجابة: كلا لا تُغفر، لأنها طبيعة ساكنة فىَّ، وليست خطايا فعلتها حتى تغفر (طبقاً للبند رابعاً - صـ ٣٢).

إذاً ليطردها الله من جسدى، وينتهرها، كما كان ينتهر الأرواح النجسة فتخرج.. الرد بأن الأرواح النجسة ليست أصيلة فى تركيب الإنسان، ولا هو مولود

بـها، وبذلك يمكن طردها.. كلا.. لكنها الخطية الأصلية وهى الموجودة فى كل ذرة من جســدى، وكل قطرة من دمى.. إنها فى كيــانى بالوراثة.. كوضع **أصيــل** لا يُنزع.. أما الروح النجس فإنه يدخل فى الإنســان- لسبب ما - كوضع **جديد** على الإنسان ومُكتَسَب.. وممكن أن يخرج منه (مت٨:١٦٥،٣٢).

وإذ ذاك تــقوم اشكالية من جهة تصنيفى.. وهى: هل أنا - بوجود الخطية فى جســدى- أصلح لأن أكون مسجلاً فى القائمة التى رأسها المسيح؟.. أم ما زلت مسجلاً فى القائمة التى رأسها آدم؟

كيف أكون فى قائمة المسيح وبداخلى هذا الداء الدفين؟

ثم كيــف أكون فى قائمة آدم بعد أن قبلت المســيــح مخلصاً.. واختبرت سُكنى الروح القدس فىَّ؟

إذاً ليــغمض الله عينه عن هذا الداء الذى فى داخلى، مادام يحبنى.. الرد: إن قـداسة الله تأبى هذا.. ذلك فعيناه "أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ" (حب١:١٣).. ولا يــمكن لى فى هذه الحال أن تكون لى شركة معه، أو وجود فى حضرته الآن.. أو فى الأبديــة.. لأنه "طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ" (مت٥:٨).. وحيث أن قلبى موبوء بهذا الداء الدفين، الذى يسميه النبى: "سَبْعَ رَجَاسَاتٍ" (إر٢٦:٢٥)، لذلك فمن المحال أن أوجد فى حضرته بأى حال.

ما الحل إذاً؟.. لا حل ســوى أن يــطبق الله عقوبته الوحيــدة على هذه الخطية؛ وهى الموت (رو٦:٢٣).

وحيــث أنها لا يــمكن أن تنفصل عنى أو تُســتأصل من كيانى، فموتها يستلزم موتى معها.

ما مدى مسئوليتى عن وجود هذه الطبيعة فىَّ، حتى أعاقب بالموت بسببها؟.. وهل أعاقب أو أحاسب على شيء لا يد لى فيه.. والسؤال الآن: هل كان بنيامين مذنباً عندما تم ضبط طاس فرعون فى عدله (زكيبته – تك٤٤:١٢)؟

الإجابة: مذنب.. وغير مذنب.. كيف؟.. غير مذنب **فعلياً** لأنه لم يسرق الطاس.. لكنه مذنب **تضامنياً**، إذ وُجد متلبساً بوجود الطاس فى عدله.

هكذا أنا وإن كنت غير مذنب فعلاً لوجود الخطية فى جسدى.. إلا أننى متلبس بوجودها فىَّ.. وبالتالى مذنب تضامنياً معها[١٤].

ألا يعد هذا ظلماً لى؟.. نعم يعد ظلماً.. لو.. لو ماذا؟.. لو لم يكن هناك علاج مقدم لى مجاناً.. فكما لم يكن **لى ذنب** فى سكناها فىَّ بالوراثة، كذلك ليس **علىَّ شئ** أعمله لعلاجها، **ولا ثمن أدفعه** مقابل العلاج.

العلاج الإلهى:

كان تنفيذ حكم الموت فى بديلى يسوع – لا كحامل خطاياى الفعلية فقط – بل كمن هو نائب عنى أنا – كوارث للخطية الأصلية – أو بالحرى كنائب عن آدم – مورِّث الخطية الأصلية – وكنائب أيضاً عن جميع الورثة، أى جميع البشر.. لأن الله "جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا (أى باعتباره حامل هذه الخطية الأصلية، بالنيابة عنا)، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (٢كو٥:٢١).

وبموته حُسب هذا الموت لى.. فمتُّ أنا شرعاً معه.. بمعنى أنى "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا...." (غل٢:٢٠).. وبهذا تم تنفيذ حكم الموت فىَّ.. "فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي **شِبْهِ** جَسَدِ الْخَطِيَّةِ (جسد المسيح الخالى من الخطية) **دَانَ الْخَطِيَّةَ (التى) فِي الْجَسَدِ (جسدى أنا)**" (رو٨:٣).. لماذا؟.. "**لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا**" (رو٨:٤).. ما هو؟.. هو الموت طبقاً لحكم الناموس.. الذى تم فىَّ بموت المسيح بديلاً عنى.. وبموتى بالتالى معه شرعاً.. لقد تم تنفيذ الحكم فى المسيح.. ودان الله

الـخطية الأصلية – الساكنة فى جسدى – دانها فيه، كبديل عنى.. وإذ تم تنفيذ حكم الموت فى بديلى، أعتُبر ذلك تنفيذاً له فىَّ.

فليـــســت المســألة هنا رفع خطاياى الفعلية عن كاهلى، بل تنفيذ الحكم بالموت علىَّ كحامل لهذه الطبيعة العاصية، ومتضامن معها.

وإذ مت، تبــرأت، حكماً وشــرعاً منها.. "لأَنَّ الـَّـذِي مَاتَ قَدْ تَبَــرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ" (رو ٦:٧).. تبرأت منها **شرعاً**.. رغم استمرار وجودها فىَّ **فعلاً**[١٣].

هذا يعنى أن الله لا يراها، مع وجودها فىَّ.. إذ حســبها ميتة شرعاً – مع بقائها – وحســبنى كحامل لها ميتاً شرعاً مع المسيح.. "لأَنى مَعَ الْمَسِيحِ صلَبتُ".. لا لغفران خطايـــاى الفعلية ولا كرفع المذنوبية الفعلية عنى، فهذا تم بموته عنى.. لكن لأُعتبر – بصلبى معه – ميــتاً مع الخطية الســاكنة فىَّ.. تبرُّئى منها إذاً، تم بموتى معه.

فموته **من أجلـــى** جانب.. وموتى **معه** جانب آخر..
الأول : لرفع المذنوبيــة **الفعليـــة** عنى وتبرأتى منها..
والـثانى: لرفع المذنوبية **التضامنية** عنى وتبرأتى منها.

وإذ تبرأت من الخطية الساكنة فىَّ.. انتفى وجود جسد الخطية فىَّ شرعاً.. مع وجوده فعلاً.. إذ أصبح فى حكم غير الموجود.. لذلك يكتب الرســول: "عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَـانَنَا الْعَتِيقَ (أى أنا والخطية الســاكنة فىَّ) قَدْ صُلِبَ مَعَهُ" (رو ٦:٦).. لماذا؟.. يضيف الرسول: "لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ" (الشاهد السابق).. أى لينتفى وجوده **شرعاً**.. مع استمرار وجوده **فعلاً**.

مع ملاحظة أن الخطية الأصلية، ليســت الإنسان العتيق.. فالأولى طبيعة تَسْكُن إنســاناً.. أما الثانى فهو هذا الإنســـان ساكنة فيه هذه الطبيعة.. بمعنى أن الإنســان العتيــق هو التوليفة المكونة منى أنا كإنســان، مضافاً إليه طبيعة الخطية الأصلية الساكنة فىَّ.

الخلاصة

إذ تم تنفيــذ الــعقوبة التى أســتحقها فى بديــلى نائباً عنى، فقد تم تنفيــذها - شرعاً - فىَّ.. وبالــتالى أوقف تنفيــذها -فعلاً- فىَّ.. لأن العقوبة لا تنفذ مرتين.. وبالتالى تبرأت من الخطية الســاكنة فىَّ.. ورُفعت عنى.. مذنوبية تضامنى معها.

أنثى تحيـــط بـــرجل

بمناســبة احتفال المســيحيين فى مستهل هذا العام (٢٠٢٢) بعيد الميلاد، تــداول بعض رواد مواقع التواصل الاجتماعى تفسيراً للفقرة التى وردت فى (إرميا ٣١:٢١،٢٢) والتى تقول: "ارْجِعِي يَــا **عَذْرَاءَ إِسْـرَائِيلَ**. ارْجِعِي إِلَى مُدُنِكِ هذِهِ. حَتَّى مَتَى تَطُوفِيــنَ أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْمُرْتَدَّةُ؟ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ خَلَقَ شَيْئًا **حَدِيثًا** فِي الأَرْضِ. **أُنْثَى تُحِيطُ بِرَجُل**".

إذ اعتبر هؤلاء أن عذراء إســرائيـــل هذه، هى مطوبة الأجيال "**العذراء مريم**".. وأنها تحيط بوليدها "يسوع".. جنينا فى بطنها.

ولما كان نصُّ نبوة أرميـــا النبى يصف هذه العذراء بأنها "**البنت المرتدة**" (الــشاهد السابق)، إذاً حاشا أن تكون هذه البنت المرتدة هى مطوبة الأجيال العذراء مريم، "أم يسوع".

إذاً من تكون هذه العذراء؟

الإجابة:

ربما كان اللبس فى هذه العبارة هو بسبب كلمة "**عذراء**" التى توجه الفكر مباشرة - ولكن بطريــقة ســطحيـــة - إلى العذراء مريم، التى حملت القدوس فى أحــشائها وأحاطت به فى بطنها.. والذى قال لها الملاك عنه: "الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لو ١:٣٥).

وإذ كان من المســتحيـــل، بل وحاشا أن تكون هذه "**البنت المرتدة**" هى مطوبة الأجيال "العذراء مريم"، إذاً فالفكر يتجه إلى عذراء أخرى.. ولما كانت هى

"عذراء إسرائيل"، فإن الفكر يتجه إلى بنت من اسرائيل – بل – كما أشار إلى ذلك نفس النبى "إرميا" – هى "بِنْتِ شَعْبِي" (إر٦:١٤، ٨:١١، ٩:١) أى إسرائيل كلها.. "كُلِّ عَشَائِرِ إِسْرَائِيلَ" (إر٣١:١)؛ "بَيْتَ إِسْرَائِيلَ وَبَيْتَ يَهُوذَا" (إر٣١:٢٧،٣١).

وهى التى سبق لها أن كانت عذراء (العشرة أسباط) لكنها أصبحت زوجة زانـية، فطلقها رجلها وأعطاها كتاب طلاق (إر٣:٨).. وكذلك لم تَخَفْ أختها يهوذا (السبطين) بل فعلت مثل أختها إسرائيل.. وزنت مع الحجر والشجر (إر٣:٨،٩).. أى عبدت تماثيل الحجر والخشب.. وسـماهما الرب "الْعَاصِيَةُ إِسْـرَائِيلُ أَكْثَرَ مِنَ الْخَائِنَةِ يَهُوذَا" (إر٣:١١).

لذلك يـنادى الرب بهذا الكلمات: ".... ارْجِعِي أَيَّتُهَا الْعَاصِيَةُ إِسْـرَائِيلُ، يَقُولُ الرَّبُّ" (إر٣:١٢).. "ارْجِعِي يَا عَذْرَاءَ إِسْرَائِيلَ. ارْجِعِي إِلَى مُدُنِكِ هذِهِ. حَتَّى مَتَى تَطُوفِينَ أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْمُرْتَدَّةُ؟" (إر٣١:٢١،٢٢).

لـقد بدأ طوافها وتشتتها فى الـمرة الأولى من عام ٧٢٣ ق.م. على يـد "شلمنآصر الخامس".. وبعده على يد ابنه "سرجون الثانى"، من ملوك آشور.. حيث تم سبى **العشرة أسباط**.

تلا ذلك – فى المرة الثانيـة – سـبى **السـبطيـن** (يهوذا وبنيامين) بيد نبوخذ نصر عام ٦٠٦ ق.م. وقائد جنده "نبوزرادان" عام ٥٨٦ ق.م.

ومنذ ذيـنك التاريخين وقد بدأ تشتت وطواف هذه البنت وأختها.. وليتها أصغت إلى نداء الرب (إش٤٨:١٨).. ولكنها قَسَّت قلبها وتمادت فى ارتدادها.. وها هو هنا يـنادى عليها النداء الأخير، مصحوباً بوعد جديد قائلاً لها: "حَتَّى مَتَى تَطُوفِينَ أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْمُرْتَدَّةُ؟" (إر٣١:٢١).. وهَاكِ وعداً مشجعاً.. ما هو؟.. "لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ خَلَقَ شَيْـئًا **حَدِيـثًا** فِي الأَرْضِ".. ما هو؟.. إنه "**أُنْثَى تُحِيطُ بِرَجُل**" (إر٣١:٢٢).. ولأنه شئ حديث، فهو شئ مرتبط **بعهد جديد** (إر٣١:٣١،٣٢).. كما سيأتى ذكره.

وفى هذا الشيء الحديث نرى أنثى.. لماذا أنثى؟.. لأنها "الإناء الأضعف" (١بط٣:٧).. وهى تشير لهذه البنت المرتدة بعد اجتيازها الضيق الخاص بها؛ "ضِيق عَلَى يَعْقُوبَ" (إر٣٠:٧).. وذلك فى سنوات الضيقة العظيمة (مت٢٤:٢١).. يليها عبور السخط عليها بيد أشور المستقبلى (إش٧:٢٠& إش٩:١١،١٢& زك١٤:٢).. الأمر الذى يرجعها عن ارتدادها بالتوبة والتضرعات والبكاء "…. فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَعْظُمُ النَّوْحُ فِي أُورُشَلِيمَ" (زك١٢:١٠،١١).. إذ ستبكى "كُلُّ الْعَشَائِرِ… عَشِيرَةٌ عَشِيرَةٌ عَلَى حِدَتِهَا" (زك١٢:١٤).

وإذ تصل هذه الأنثى إلى منتهى ضعفها، يحدث هذا الشئ **الحديث** والجلل.. ما هو؟.. إنها نفس هذه الأنثى الضعيفة وقد وجدت أمامها هذا **الرجل..** الذى سبق أن طعنوه يوم اتضاعه، **كرجل** الأوجاع (إش٥٢:٣).. ها هو قد أتاهم لا بثوب الاتضاع بل بثياب المجد والقوة والبهاء، **كرجل** الحرب (خر١٥:٣).. سينظرون إليه بعيون دامعة بسبب ما حدث **منهم**، لكن بقلوب راجية لما سيحدث **منه**، متغاضياً عن خطاياهم.. ولسان حالهم "عَرَّفَ مُوسَى طُرُقَهُ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ أَفْعَالَهُ…. لاَ يُحَاكِمُ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَحْقِدُ إِلَى الدَّهْرِ. لَمْ يَصْنَعْ مَعَنَا حَسَبَ خَطَايَانَا، وَلَمْ يُجَازِنَا حَسَبَ آثَامِنَا" (مز١٠٣:٧،٩).

وهو لن يتغاضى فقط عما فعلوه غافراً لهم فى كفاية صليبه، بل سوف يدخل معهم فى **عهد جديد**، لا يشمل فقط غفران خطاياهم بل **أيضا سكب روحه عليهم.**

وعن هذا العهد يكتب النبى إرميا: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ

أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ" (إر ٣١:٣١-٣٧).

وعن سكب الروح القدوس يكتب النبى يوئيل: "أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلَمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى. وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضًا وَعَلَى الإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ.... قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ" (يؤ ٢:٢٨-٣١).

وبظهور هذا الشخص المجيد **فى قوته** أمام هذه الأنثى **فى ضعفها** نجدها ترتمى فى أحضانه.. ولا يذكر الكتاب هنا أشواقه إليها، مع أنها موجودة، بل أشواقها هى إليه.. كمن ذاقت الذل والمرار والهوان فى بعدها عنه.. ولاقت ما لاقته وقت طوافها وارتدادها.. لذلك نقرأ أنها هى التى تحيط به مرتمية فى أحضانه ليتم نبوياً هذا القول: "إِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ **اشْتِيَاقُكِ**" (تك ٣:١٦).. "وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ" (الشاهد السابق).. وهو ما عبّرت عنه بقولها: "أَنَا لِحَبِيبِي، وَإِلَيَّ **اشْتِيَاقُهُ**" (نش ٧:١٠).. وقتها **يسود ويملك**.. لا عليها وحدها فقط، بل على كل العالم.. باعتباره "رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ" (رؤ ١٧:١٤).

وإذ تحيط به.. يُبتلع ضعفها فى ملء قوته وكفايته.. ويكون لسان حالهم - بعد إنقاذهم من يد **كل أعدائهم (كل الأمم** - زك ١٤:٢) ومن يد الأشورى؛ ملك الشمال - هو ما أنشده داود "فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَنْقَذَهُ فِيهِ الرَّبُّ مِنْ أَيْدِي **كُلِّ أَعْدَائِهِ** وَمِنْ يَدِ شَاوُلَ" (عنوان مز ١٨): "أُحِبُّكَ يَا رَبُّ، يَا قُوَّتِي. الرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي

وَمُنْقِذِي. إِلهِي صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلاَصِي وَمَلْجَإِي" (مز١٨:١،٢).. "فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ. فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ، أُسُسُ الْجِبَالِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ لأَنَّهُ غَضِبَ. صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ. طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ. رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ، وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ" (مز١٨:٦-١٠).. "أَرْسَلَ سِهَامَهُ فَشَتَّتَهُمْ، وَبُرُوقًا كَثِيرَةً فَأَزْعَجَهُمْ.... أَرْسَلَ مِنَ الْعُلَى فَأَخَذَنِي. نَشَلَنِي مِنْ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ. أَنْقَذَنِي مِنْ عَدُوِّي الْقَوِيِّ، وَمِنْ مُبْغِضِيَّ لأَنَّهُمْ أَقْوَى مِنِّي" (مز١٨:١٤-١٧).. وذلك عندما سينزل على جبل الزيتون (زك١٤:٤) فيرتعش، ويرتعد، ويرتج، وينشق، وينقسم، ويتحرك، وينتقل.. من جلال مجده وقوته.

هذه هى الأنثى الضعيفة.. وهذا هو من سيبتلع ضعفها مستقبلاً، ألا وهو الرجل القوى؛ الأسد الخارج من سبط يهوذا (رؤ٥:٥).. وذلك بعد أن تتوب وتعود إليه نادمة.

لقد رفضته يوماً.. وناب السبطين عن كل الأسباط فى رفضه، فى مجيئه الأول.. فكأنما رفضه الجميع.

جاء إلى بيتها متضعاً.. وعليه طل السماء وندى الليل.. ناداها لتفتح له: "افْتَحِي لِي يَا أُخْتِي، يَا حَبِيبَتِي، يَا حَمَامَتِي، يَا كَامِلَتِي! لأَنَّ رَأْسِي امْتَلأَ مِنَ الطَّلِّ، وَقُصَصِي مِنْ نُدَى اللَّيْلِ".. رفضت دعوته، بحجة أنها استكانت للراحة والتنعم (نش٥:٢،٣).. ولا تريد منه أن يقلل من راحتها أو ينتقص من تنعمها.. ولم تدرك القول: "وَأَمَّا الْمُتَنَعِّمَةُ فَقَدْ مَاتَتْ وَهِيَ حَيَّةٌ" (١تى٥:٦).. والمقصود بالمتنعمة هى من تعيش لذاتها ولذّاتها، وتسخِّر كل إمكانياتها لخدمة نفسها.. مستبعدة الله من حسابها.

هكذا كانت إسـرائيل (أو السـبطين كممثلين لكل الأسباط).. لذلك تحول حبيبها وعبر (نش٥:٦).. ولما قامت بعد ذلك لتفتح له.. لم تجده.. **لقد عبر..** "ذَهَبَ إِلَـى كُورَةٍ بَعِيـدَةٍ" (لو١٩:١٢).. والمقصود هو عبوره الحرفى، أى صعود الرب **إلى السـماء** بعد قيـامته.. إضافة إلى عبوره التدبيرى **إلى الأمم**، كقول الرسـول بولس وبرنابا لليـهود المقاومين: "كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلاً بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلكِنْ إِذْ دَفَـعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، هُوَذَا **نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ**" (أع١٣:٤٦).. لقد عبر حرفياً إلى السماء.. وتدبيرياً إلى الأمم.

تـقول: "نَفْسِي خَرَجَتْ عِنْدَمَا أَدْبَرَ" (نش٥:٦).. تفتش عنه وتقول: "طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. دَعَوْتُهُ فَمَا أَجَابَنِي" (نش٥:٦).. لماذا لم يجبها؟.. تأديباً لها لرفضها له، وطعنه، وصلبه.. وعليها:

أولاً : أن تجتاز الضيقة لاسيما فى مواجهة الوحش والنبى الكذاب.

وثانياً : أن تجتاز السخط بيد ملك الشمال وجميع الأمم.

فالبنسـبة للوحش تقول: "وَجَدَنِي **الْحَرَسُ الطَّائِفُ** فِي الْمَدِينَةِ. **ضَرَبُونِي. جَرَحُونِي**" (نش٥:٧).. لأن فى هذا الحرس الطائف فى المدينة نجد إشارة للسـلطة الـرسـميـة التى للوحش.. التى **سـتضطدهم.. فتقتل** منهم من تقتل (رؤ١٣:٧ ، ٢٠:٤).. **وترفض منحهم سمة الوحش** فلا يجدون ما يأكلونه أو ما يشربونه أو ما يلبسونه (رؤ١٣:١٧ & مت ٢٥:٤٢-٤٤).

وبالنسـبة للنبى الكذاب، تضيـف: "**حَفَظَةُ الأَسْـوَارِ رَفَعُوا إِزَارِي عَنِّي**" (نش٥:٧).. لأن فى حفظة الأسـوار نجد إشارة للسلطة الدينية التى للنبى الكذاب.. الـتى سـتكشف عدم انتمائها لـنظام الوحش.. وتثبت مروقها عن عبادة الوحش.. **وتعرّى أفكارها** المخالفة لديانته.

هذا أثناء الضيقة.

وبالنسبة لملك الشمال - بعد الضيقة - والخراب الذى سيلحقه بهم (يؤ٢).. فمن هوله سيعتبرونه خراباً أبدياً (مز ٧٤:٣).

وإذ ذاك تعلن احتياجها كالأنثى الضعيفة إلى الرجل القوى، التى اكتشفت مؤخراً أنه حبيبها الذى رفضته.. وتطلب علانية من أى فرد من بنات أورشليم (أى من الشعب) وتحلّفه فى ما يشبه الإعلان العام: "أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ إِنْ وَجَدْتُنَّ حَبِيبِي أَنْ تُخْبِرْنَهُ بِأَنِّي مَرِيضَةٌ حُبًّا" (نش٥:٨).. لأنى فى النهاية، مهما يكن من أمر، فـ : "أَنَا لِحَبِيبِي، وَإِلَيَّ اشْتِيَاقُهُ" (نش٧:١٠).. هنا.. وهنا فقط يظهر حبيبها ذاته لها منادياً عليها، ساعة رجوعه ثانية (نش٢:٨): "قُومِي يَا حَبِيبَتِي، يَا جَمِيلَتِي وَتَعَالَيْ. لأَنَّ الشِّتَاءَ (سنوات الضيقة) قَدْ مَضَى، وَالْمَطَرَ (السخط بيد ملك الشمال) مَرَّ وَزَالَ" (نش ٢:١٠،١١).

لقد سبق له أن رأى أنثى أخرى ضعيفة لكونها أنثى.. ويزداد ضعفها لأنها من أتباع شخص قتله الرومان.. وفى طريقهم إليها.. وتقف وحيدة والظلام باقٍ.. وسط القبور الموحشة.. [باكية يائسة.. كان حزنها عميقاً، وفراغها سحيقاً.. دمعها فائراً، وجرحها غائراً.. قلبها مكلوماً، وفكرها مهموماً.. لا ينفع فيه مال، ولا تجدى معه ملائكة.. أقصى ما كانت تحلم به هو جثة حبيبها.. فتقول لمن ظنته البستانى: "يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ، وَأَنَا آخُذُهُ" (يو٢٠:١٥).. آخذه ميتاً.. ليكن.. فأسكب عليه طيبى، وأضع فوقه حنوطى.. وأودِعَه.. مع هذا وذاك، نبضات قلبى الكسير.. كأغلى ما تبقى لدىّ بعده.. حباً وعرفاناً].

وبفضول منى سألتها: ماذا ستفعلين بجسده الكريم؟.. أجابتنى:

[آخذه لأدفنه بمعرفتى.. فأستيقظ صباحاً، أول ما استيقظ مبكرة إلى قبره، أناجيه خلف الجدران، وأستمد من خالد كلامه قبساً مضيئاً ليومى.

وأهرع إلى مثواه فى خاتمة اليوم، أناجيه عبر الأكفان، فأستمد من ذكرى حنانه مهداً مريحاً لنومى.

وأمضى حياتى.. عابدة فى محراب ذكراه.. خاشعة فى ربوع مثواه.. فذاك جلُّ المنى.. وسيدرة المنتهى].

[لكنها.. ويا للهناء.. ينشق السكون من حولها.. وتلمع فى ظلمة أفكارها، أحلى نبرة مخزونة فى أعماقها.. وتسمع صوته حياً منادياً عليها "يا مريم".. أية نشوة عارمة زلزلتها.. وأية بهجة أسطورية تملكتها.. وهى تجثو مبهورة عند قدميه غارقة فى ملء قوة قيامته وكفاية شخصه.. قائلة: "ربونى" (يو٢٠:١٣-١٦)(١٥)].

إنها مريم المجدلية.. وبالمثل، فإن البقية تبحث عنه بشق النفس، فى دوائر العالم الثلاث؛ الدينية، والرسمية السياسية الاقتصادية، والثقافية.. وتقول: "إِنِّي أَقُومُ (بعد أن كانت نائمة – نش٥:٢) وَأَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ (أورشليم – الدائرة الدينية اليهودية)، فِي الأَسْوَاقِ (الدائرة **الاقتصادية والسياسية**) وَفِي الشَّوَارِعِ (دائرة عموم الناس، **وثقافتهم العامة**)، أَطْلُبُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ" (نش٣:٢).. وتضيف: "وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ (**الدائرة الرسمية**)، فَقُلْتُ: «أَرَأَيْتُمْ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي؟»" (نش٣:٣).. وبالطبع لا يوجد حبيبها فى أى دائرة من هذه الدوائر.

ماذا كتب بيلاطس على صليب الرب؟.. كتب: "يسوع الناصرى ملك اليهود" وبأية لغة.. بلغات العالم الثلاث المعروفة فى ذلك الوقت.. باللغة العبرية (اللغة الدينية اليهودية).. واللغة اليونانية (لغة الثقافة والعلم).. واللغة اللاتينية (اللغة الرسمية للدولة الرومانية).. اعترض رؤساء كهنة اليهود على بيلاطس.. لتغييرها.. فأجابهم: "مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ" (يو١٩:٩-٢٢).

أراد الله بإصرار بيلاطس على هذه الصيغة أن يقدم لنا – دون أن يدرى بيلاطس – موقف دوائر العالم الثلاث من المسيح.. مرفوضاً، ومعلقاً، ومصلوباً..

لذلك فالبحث عن المســـيح فى دوائر هنا العالم هو حرث فى البحر.. حتى العبارة الــمكتوبة على ورقة العملة الأمريــكيـــة من فئة الدولار وهى: "نحن نؤمن بالله"، أصبحت مرفوضة، ومن سنين طويلة يطالب كثير من الأمريكيين بإلغائها.. ويتزايد عــددهم مع مرور الوقت.. وربما قريباً تُلغى هذه العبارة.. وهى آخر وجود - ولو وجود إسمى - للمسيح فى هذا العالم.

والــمطالبون بحذفها، أقول بكل أسف: معهم حق.. ذلك لأنهم يؤكدون قول الرب: "مَمْلَكَتِي لَيْـسَـتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ.... ولَكِنِ الآنَ لَيْـســتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا" (يو١٨:٣٦).

فكيــف لمريم، أو للبقية، أو لأى مؤمن أن يجده فى دائرة من دوائر العالم قاطبة.

على أن عروس النشيد تتدارك الأمر ســريعاً - فلا الحرس الرسمى، ولا الحرس الديـــنى ولا عابرو الشوارع، يعرفون شيئاً عن الحبيب - لذلك تضيف بعد أن جاوزت هذا الـــحرس: "فَمَا جَاوَزْتُهُمْ إِلاَّ قَلِيــلاً حَتَّى وَجَدْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْســي، فَأَمْسَــكْتُهُ ولَــمْ أَرْخِهِ، حَتَّى أَدْخَلْتُهُ بَيْـتَ أُمِّي وَحُجْرَةَ مَنْ حَبِلَتْ بِي" (نش٣:٤).. تركت دوائر العالم، فوجدته.

تقول: "حجرة أمى".. فمن هى هذه الأم؟.. إنها الإثنى عشر سبطاً.. وهل حبلت هذه الأم بتوأم هو؛ يهوذا (أورشليم) وإســرائيل (السامرة)؟.. كلا.. بل حبلت وولدت أمة واحدة.. بدءاً من مُلك شاول، ثم داود، ثم ســليمان.. لقد ولدت هذه الأم ابنة واحدة؛ هى إسرائيل الواحدة.

من ثم دخولها إلى بيــت الأم وحجرة من ولدتها، إنما يــشير إلى اتحادهم مرة أخرى - فى الـــمســتقبل - كابنة واحدة لأم واحدة.. بعد أن انفصلوا قروناً هذا عددها، حتى الآن.

هذه الوحدة المســــتقبلية، نقرأ عنها فى أكثر من موضع فى الكتاب.. ففى (رومية١١:٢٦) نقرأ: "وَهكَذَا سَيَخْلُصُ **جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ** (الإثنى عشر سبطاً)".. لأن العهد الجديد (إر٣١:٣١) هو للإثنى عشر ســـبطاً كلهم.. وأيضاً فى (إش٤٩:١٢) نقرأ: "هؤُلاَءِ مِنْ بَعِيـــدٍ يَأْتُونَ، وَهؤُلاَءِ مِنَ الشَّمَالِ (من حيث ســبى أشور العشرة أســباط) وَمِنَ الْمَغْرِبِ، وَهؤُلاَءِ مِنْ أَرْضِ ســينِيمَ (الصين)".. وفى (إش٦٠:٨،٩) "مَنْ هؤُلاَءِ **الطَّائِرُونَ كَسَـحَابٍ وَكَالْحَمَامِ** إِلَى بُيُوتِهَا؟ إِنَّ الْجَزَائِرَ تَنْتَظِرُنِي، **وَسُفُنَ** تَرْشِيشَ فِي الأَوَّلِ، لِتَأْتِيَ بِبَنِيكِ مِنْ بَعِيدٍ....."

وعودتهم المســتقبليـــة فى ســفن، أو فى طائرات كســحاب، هى عودة **كالحمام.. لذلك هى عودة ســلميـــة لا عســكريـــة..** وما حدث عام ٤٨ من عودة **السـبطين العســكرية (كصقور)** إلى فلســطين، **هو غير كتابى..** لذلك ســيطردهم الأشورى الـــمســتقبلى؛ ملك الشمال مرة أخرى.. أما إن أعادهم رئيــس الســلام **(كحمام)** بعد ذلك، فسيكون بطريقة سلمية.

ذلك لأن رئيس الســلام عند رجوعه ســيفشى السلام فى كل المسكونة.. وكما وُلدوا قديماً كأمة واحدة.. ســـيولدون مستقبلاً كأمة واحدة – لا كتوأم – لكنها ولادة بمخاض وألم.. هو ألم الضيقة العظيمة والســـخط.. "**مَنْ سَمِعَ مِثْلَ هذَا؟ مَنْ رَأَى مِثْلَ هذِهِ؟** هَلْ تَمْخَضُ بِـلاَدٌ فِي يَــوْمٍ وَاحِدٍ، أَوْ تُولَــدُ أُمَّةٌ دَفْعَةً وَاحِدَةً؟ فَقَدْ مَخَضَتْ صِهْيَوْنُ (الأم)، بَلْ وَلَدَتْ بَنِيهَا!" (إش٦٦:٨).

إنه – كما ســبقت الإشارة – شئ **حديــث** لم يُســمع به، ولم يره أحد من قبل.. هو تحقيـــق الرب لقوله: "الرَّبَّ قَدْ خَلَقَ **شَيْئًا حَدِيثًا** فِي الأَرْضِ"؛ هو رجوع هذه الأنثى المتمردة، مولودة من جديـــد، بعد مخاض وألم ومعاناة الضيقة العظيمة والــسخط الــواقع عليــها.. لتتم العبارة: "أُنْثَى (واحدة) تُحِيـطُ بِرَجُل (واحد)" (إر٣١:٢٢).

وقتها ستمسك هذه الأنثى بالرب، وتحيط به، ولا ترخيه، وتدخله إلى بيت أمها؛ الأمة الموحدة.. وتحلّف الجميـــع "أَلاَّ تُيَــقِّظْنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ **حَتَّى يَشَاءَ**" (نش٣:٥ ، نش٨:٤).. أى أن تستمر وحدتها.. ويستمر سلامها.. وتمتعها بحبيبها.. هــل إلى الأبد؟.. كلا.. بل إلى أجل مسمى.. ما هو؟.. **إلى أن يشاء الحبيب**.. (وقد شاء فى كلمته أن يــخبرنا عن هذا الأجل الذى يــمتد إلى ألف عام.. وهذا ليـــس موضوعنا الآن).. لتبدأ بعدها حقبة جديدة بسماء جديدة وأرض جديدة.

وفى تصوير آخر لهذا الموضوع، فإن هذه الأنثى هى المرأة المذكورة فى (رؤيا ١٢) "مُتَســـرْبِلَةٌ بِالشَّمْسِ، وَالْقَمَرُ تَحْتَ رِجْلَيْهَا، وَعَلَى رَأْسِهَا إِكْلِيلٌ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ كَوْكَبًا (فى اســتشهاد بحلم يوسف – تك٣٧:٩)، وَهِيَ حُبْلَى تَصْرُخُ مُتَمَخِّضَةً وَمُتَوَجِّعَةً لِتَلِدَ (وقت ميلاد يســوع.. وهو هنا ليس وجع ومخاض الضيقة بل الوجع الماضى الناتج من اضطهاد الأمة وســبيها على مدى تاريخها، قبل المسيح)[١٦].... فوَلَدَتِ ابْنًا ذَكَرًا عَتِيدًا أَنْ يَرْعَى جَمِيعَ الأُمَمِ بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ" (رؤ١٢:١،٢،٥).

فــإن كان الابن الذكر هو المسيح، فإن المرأة هى إسرائيل.. وأيضاً ليست هى مطوبة الأجيــال العذراء مريــم.. لماذا؟.. لأن "التِّنِّيــنُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْــمَدْعُوُّ إِبْلِيــسَ وَالشَّيْــطَانَ" (رؤ١٢:٩) "اضْطَهَدَ الْمَرْأَةَ الَّتِي وَلَدَتْ الابْنَ الذَّكَرَ، فَأُعْطِيَتِ الْمَرْأَةُ جَنَاحَيِ النَّسْرِ الْعَظِيمِ لِكَيْ تَطِيرَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ إِلَى مَوْضِعِهَا، حَيْثُ تُعَالُ زَمَــانًا وَزَمَانَيْنِ وَنِصْفَ زَمَانٍ، مِنْ وَجْهِ الْحَيَّةِ" (رؤ١٢:١٣،١٤).. "وَالْمَرْأَةُ هَرَبَتْ إِلَى الْبَرِّيَّـــةِ، حَيْثُ لَهَا مَوْضِعٌ مُعَدٌّ مِنَ اللهِ لِكَيْ يَعُولُوهَا هُنَاكَ أَلْفًا وَمِئَتَيْنِ وَســتِّينَ يَــوْمًا" (رؤ١٢:٦).. وهذا ما لم يحدث مع مطوبة الأجيال العذراء مريم.. ولكنه ما ســيحدث مستقبلاً مع هذه المرأة أى إسرائيل.. لتتشتت مرة أخرى وتطوف ثانية فى بلدان العالم كالابنة المرتدة.. إلى أن تتوب ويشفى الله ارتدادها.. وتعود إليه فينطبق عليها والحال هكذا ما سبق شرحه من أن "أُنْثَى تُحِيطُ بِرَجُل"[١٧].

وعن حالتها قبل وبعد الإحاطة بالرجل، يكتب سليمان عنها مرتين.. الأولى، قبل أن تحيط برجل: "مَنْ هذهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ **كَأَعْمِدَةٍ مِنْ دُخَانٍ**" (نش٣:٦)؛ دخان **نيران** الضيقة والسخط.. لكن فى المرة الثانية بعد أن أحاطت هذه الأنثى بالرجل حبيبها يكتب عنها "مَنْ هذهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ **مُسْتَنِدَةً عَلَى حَبِيبِهَا؟**" (نش٨:٥).. مستندة على حبيبها ومحيطة به.. وهى لن ترخيه مرة أخرى بعدما اختبرت العذاب كله فى بعدها عنه.

وبالنسبة لنا

ألا من تعليم اختبارى لنا فى هذا؟.. بلى.. إننا وقت ضعفنا ومسكنتنا.. ورجوعنا إلى الرب عن أخطائنا – بل بالأحرى – فى أشواقنا إليه.. وتلهفنا للتمتع به، ممسكين به، نجده له المجد يفعل معنا ما فعله مع المجدلية إذ أشبع أشواقها إليه.. "لأَنَّهُ أَشْبَعَ نَفْسًا مُشْتَهِيَةً وَمَلأَ نَفْسًا جَائِعَةً خُبْزًا" (مز١٠٧:٩).

فنختبر ما اختبره الرسول المختبر: "لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ" (٢كو١٢:١٠).. كيف تتحقق هذه المعادلة رياضياً؟.. مستحيل، إذاً كانت العبارة: "إن كانت **حالتى** وأنا ضعيف تتساوى مع **حالتى** وأنا قوى".. أما إن كانت: "**نتيجة** عملى وأنا ضعيف تتساوى مع **نتيجة** عملى وأنا قوى"، عندئذ تصحّ المعادلة: "حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ".. ذلك بإضافة النعمة إلى طرف المعادلة الأيمن فتصير حينما أنا ضعيف (+النعمة) فحينئذ أنا قوى".. من حيث النتيجة.. لا من حيث الحالة.

فَلْنُحطْ به ولا نُرْخِهِ.. والنتيجة: "لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أُنَجِّيهِ. أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي.... مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ، أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ. مِنْ طُولِ الأَيَّامِ أُشْبِعُهُ، وَأُرِيهِ خَلاَصِي" (مز٩١:١٤-١٦).

حقاً إنه شئ حديث فى الأرض
لا يخضع لأية نظريات رياضية أو علمية..
أو أية تداعيات تاريخية.. أو إجتماعية.. ما هو؟
أن الرب قد خلق شيئاً حديثاً فى الأرض
"أُنْثَى تُحِيطُ بِرَجُلٍ"
وما يرمز إليه هذا

ملاحــــق

ملحق١: راجع حوار الأستاذ "نجيب محفوظ" مع الشيخ "عبد ربه التايه" فى العدد رقم ٣٠ بعنوان "حتميات لاهوتية ج ٤".

ملحق٢: راجع العدد رقم ١٥ بعنوان "محطة الأتوبيس".

ملحق٣: المصريون المقصودون هنا، هم المصريون آنذاك؛ من عاشوا أيام موسى.. وكانوا وثنيين فى ذلك التاريخ.. وقد وقعوا تحت الضربات العشرة.. وهم الآن رمز لسكان العالم قاطبة.. لأن مصر فى الكتاب رمز للعالم وحضارته.

ملحق٤: النص فى (إش٥٣:٤) يقول: "لكِنَّ أَحْزَانَنَا (وهى نفسية) حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا (وهى جسدية) تَحَمَّلَهَا".

ملحق٥: حدث هذا لسيدنا فى البستان قرب الفجر.. بينما الطبيعى أن ينخفض إفراز هذين الهرمونين فى هذا الوقت.. الأمر الذى يدل على شدة الضغط الواقع على سيدنا وقتها.. كقول الكتاب: "مِنَ **الضُّغْطَةِ** وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ" (إش٥٣:٨).

ملحق٦: وهذا على أساس الكفارة.. وهو ما سيأتى ذكره فى العدد القادم بمشيئة الرب.

ملحق٧: يقول النص: "وَصِرْتُ كَعُصْفُورٍ مُنْفَرِدٍ عَلَى السَّطْحِ" (مز١٠٢:٧).. بمعنى أننى على القمة التى لا يطاولنى فيها أحد.. ذلك لأن أحد أسباب

وحدته – كالعصفور المنفرد – هو سـموه عن الآخريـن، منفرداً عنهم، ومتفرداً بالسـمو الأدبى والكمال المطلق، حتى أنه فى بستان جثيمانى لم يـصلِّ مع التلاميذ، بل "انْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى" (لو٢٢:٤١).

ملحق٨: الله هنا فى ثالوث أقانيـمه يترك ابن الإنسـان يسـوع وحده فى مواجهة العدالة الإلهية، بكل قداستها وصرامتها، دون أن تمتد إليه يد المساعدة فى الدفاع عنه – وهو البرئ (مز٦٩:٤ & ٣٥:١١) – أو يُعْطَى له قبس من المعونة – وهو الضعيـف إلى حد الإعياء (عنوان مزمور ١٠٢) والموت (مز١٤:٣٤) – أو تصغى إليـه أُذن الاسـتجابة – وهو الصارخ بصوت عظيم: "إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي" (مز٢٢:١ & مت٢٧:٤٥).

هـذا من جهة كونه ابن الإنسان.. أما من جهة كونه ابن الله، فالله لم يترك ابنه مطلقاً.. بل ظل الابن – حتى وهو على الصليـب – "اَلابْنُ الْوَحِيـدُ الَّذِي **هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ**" (يـو١:١٨).. أزلاً أبداً.. فهو فى حضن الآب وقت أن كان **جنيـناً**، ثم **وليداً قدوسـاً**، **ثم إنسـاناً كاملاً**، **ثم معلقاً على الـصليب**، **ثم جسداً طاهراً فى القبر**.. فهو لم يفارق هذا الحضن – كالابن الوحيد – لحظة واحدة.

ويكتب قداسـة "الأب متى المسـكين": أنه لا يمكن أن تكون مكافأة الابن الوحيد على تنازله وتجسده وموته هى تركه لهذا الحضن فى أى وقت.

ملحق٩: نسـتطيـع أن نقول عن هذا النصيـب أنه ليس فقط نصيباً ضمن أنصبة البشر.. بل أيـضاً يمكننا أن نقول أيضاً أنه ضمن أنصبة المسـيح، لأنه منحه الحق فى شفاء المرضى، بعدما كسـر الإنسـان الوصيـة ولم ينفذ الشرط الموضوع للشفاء.. فصار شفاؤه مسـتحيلاً، لولا احتمال المسـيح الـنتائج الزمنية لهذا العصيان.. كما منحه أيضاً الحق فى إقامة الأجساد إذ

مات فى الجسد (١بط٣:١٨) محتملاً عقوبة موت الإنسان الجسدى، عندما احتمل هذا الموت الحرفى حتى يـــخلص الإنسـان منه.. هذا إضافة إلى موته الكفارى.

ملحق١٠: قبل أن يـــذكر الرب هذين اللونين؛ القرمز والدودى (وهما درجتان من درجات الـلون الأحمر)، يـسـبق فيـقول لهم: "أَيْـدِيـكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا" (إش١:١٥).. ثم يـعقب: "إِنْ كَانَتْ خَطَايَـاكُمْ **كَالْـقِرْمِزِ**.... إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ **كَالدُّودِيِّ**" (إش١:١٨).. **فى ارتباط بين لون الدماء الأحمر وبين هاتين الصبغتين..** فسـفك الدماء هو قمة الشر فى نظر الله من الناحية الكيفية.. ذلك "لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَـدِ هِيَ فِي الدَّمِ" (لا١٧:١١).. و"نَفْسَ كُلِّ جَسَدٍ دَمُهُ هُوَ بِنَفْسِهِ" (لا١٧:١٤).. وسفك الدم يمثل إهدار الحياة.. ولما كـانت الحياة هى ملك خالقها ونافخها فى التراب، "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَـمَةَ حَيَـاةٍ. فَصَارَ آدَمُ **نَفْسًـا** حَيَّةً" (تك٢:٧).. لـذلك فسـفك الدم - أى إهدار الحيـاة - هو تعدٍّ بالدرجة الأولى على مانح هذه الحياة.. وهو قمة الشرور بالتالى.

ملحق١١: "الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ" (١بط٢:٢٤).. من أى شئ تم الشفاء هنا.. هل من أمراض الجسـد؟.. كلا فهى مسـتمرة حتى يومنا هذا وتصيب المؤمن وغيـر المؤمن.. إذاً من أى شئ تم هذا الشفاء.. تجيبنا بقية الآية.. فبعد أن يـقول بجلدته شفيـتم يـضيف موضحاً **موضوع الشفاء**؛ ألا وهو: الـضلال "لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَخِرَافٍ **ضَالَّـةٍ**، لـكِنَّكُمْ **رَجَعْتُمُ** الآنَ إِلَى رَاعِي نُفُوسِـكُمْ وَأُسـقُفِهَا" (١بط٢:٢٥).. فالشفاء هنا هو شفاء من الضلال، ورجوع إلى الرب.

وهو نفس الترتيـب الوارد فى (إش٥٣:٥،٦) فبعد أن يقول فى (ع٥): "وَبِـحُبُرِهِ شُفِينَا" يضيف فى (ع٦): "**كُلُّنَا** كَغَنَمٍ **ضَلَلْنَا**. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى

طَرِيقِهِ".

فالشفاء فى (١بط٢: ٢٤،٢٥) هو نفس ما فى (إش٥٣: ٥،٦) ألا وهو الشفاء من **الضلال** بالرجوع إلى الرب ونوال الخلاص.. أما الأمراض فلا تزال مستمرة.. وإن تم الشفاء فهو استثناء (راجع البند ثالثاً من هذا العدد - صـ ٢١).

ملحق١٢: هنا نرى إكماله الفداء بموته الكفارى عنا.. لكن هذه العبارة تمتد لتشمل أموراً أخرى أكملها الرب بموته.. مثل مشروع الفداء الأزلى.. ومثل العمل الذى أعطاه له الآب ليكمله.... إلخ.. وهذه مواضيع أخرى.

ملحق١٣: راجع العدد العاشر بعنوان "ميمى بك".

ملحق١٤: فأنا لست فقط متلبساً بوجودها فيَّ، بل أيضاً متضامن معها لأننى منقاد إلى رغباتها.. لأنى "أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى (منقاداً) إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى" (رو٧: ٣).

ملحق١٥: ما بين القوسين [....] هو اقتباس مما جاء فى العدد الأول من هذه السلسلة بعنوان "ملء الجباب".

ملحق١٦: هل توجَّعت مطوبة الأجيال العذراء مريم أثناء ولادتها يسوع؟.. كلا بالطبع.. لماذا؟

لقد كانت عقوبة حواء لأكلها من الشجرة هى حزمة رباعية من العقوبة:

١- "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ

٢- بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا

٣- وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ (احتياجك)

٤- وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ" (تك٣: ١٦)

وكانت مطوبة الأجيال خارج دوائر هذه الحزمة.

١- فكانت خارج دائرة أتعاب الحبل.. لأنه تم بالروح القدس (لو١:٣٥).. فمن غير المعقول أن يكون قد تم مصحوباً بوجع كثير أو قليل.

٢- .....

٣- كانت بعيدة عن رجل لها.. وبالتالى خارج دائرة "إِلَى رَجُلِكِ (أى الخاص بك) يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ"

٤- كانت بعيدة عن رجل لها.. وبالتالى خارج دائرة "وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ"

لم يبقى إلا البند ٢ وهو "بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا".. ومن غير المعقول أن يستثنى هذا البند من الأربعة ليطبق عليها.. دون الثلاثة بنود الأخرى.

كما أن النص يقول: "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ".. لماذا؟.. لأنه "وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي" (مز٥١:٥).. لذلك فكل الحبل بجميع الأولاد يتم مصحوباً بالتعب.

أما الذى حبل به قدوساً بلا خطية، فلا يوجد سبب واحد يجعل الحبل به أو ولادته يتمان مصحوبين بالتعب والوجع.

أما المذكور فى (رؤ١٢:٢-٥) عن المرأة الحبلى وهى "تَصْرُخُ مُتَمَخِّضَةً وَمُتَوَجِّعَةً لِتَلِدَ"، فهو يخص الأمة الإسرائيلية.. فقد توجعت على مدى تاريخها من أشور.. ثم من بابل.. ثم من خضوع لمادى وفارس.. ثم حكم لليونان.. ثم استعمار من الرومان.. وصولاً إلى وقت ميلاد المسيح.

ملحق١٧: هروبها مدة الألف والمئتين والستين يوماً هو يشمل فترة الضيقة (النصف الثانى من الأسبوع).. لكنها ستتشتت مرة ثالثة بعد الضيقة بيد ملك الشمال وباقى الأمم (زك١٤).

فى هذا العدد

- هل لله نصيب فى الصليب ؟
- هل للمؤمنين نصيب واحد أم أكثر فى الصليب ؟
- من هى الأنثى التى تحيط برجل ؟

فى العدد القادم بمشيئة الرب

- هل لعامة البشر نصيب فى الصليب ؟
- هل للبهائم وتراب الأرض نصيب فى الصليب ؟

العدد القادم
بمشيئة الرب
أنصبة فى الصليب
جزء ثان

هذه السلسلة
للخدمة وليست للربح